

اللوبي الإيراني السوري والإدارة الأمريكية | التواجد الشيعي في بلاد الألبان



www.alrased.net

سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

الراصد العدد ١١٣ ذو القعدة ١٤٣٣هـ

غضّ الطرف عن الطائفية ضد الأغلبية السنية

المحتويات

فاتحة القول

فرق ومذاهب

سطور من الذاكرة

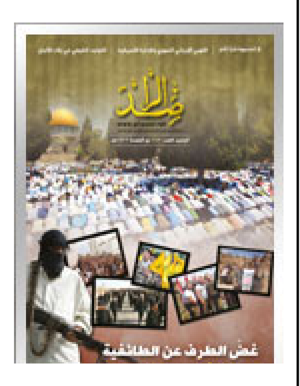
دراســـــات

كتاب الشهر

قالوا

جولة الصحافة





رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١١٣)
ذو القعدة - ١٤٣٣ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

غضّ الطرف عن الطائفية ضد الأغلبية السنية

نعم هناك حالة واضحة جداً من غض الطرف عمداً عن السياسات الطائفية المقيتة التي تمارس ضد الأغلبية السنية، وهي لا تقتصر على الساسة ووسائل الإعلام العربية بل تشمل حتى الساسة ووسائل الإعلام الغربية.

ففي الوقت الذي لا يتوقف فيه الضجيج حول خطر «القاعدة» و«السلفية الجهادية» يتم بكل سهولة ووقاحة تجاوز كل الجرائم الطائفية والتي تتفوق بعشرات المرات على خطر القاعدة وإجرامها.

ولو قارنا بين القاعدة وإيران ووكلائها، فسنجد إجماعاً على رفض القاعدة ومنهجها وحرباً معلنة ومشرعنة ضدها، ولكن في المقابل هناك حالة من الضبابية تجاه جرائم وطائفية إيران ووكلائها.

فإن كانت القاعدة تكفّر الأنظمة وبعض منتسبيها، فإيران ووكلاؤها وعمائمها لا تكفر الأنظمة فحسب بل تكفر أيضاً سائر الشعوب المسلمة لعدم إيمانهم بأئمة الشيعة!!

وإذا كانت القاعدة تقوم بعمليات تفجير واغتيالات في عدد من الدول، فإيران ووكلاؤها يتجاوزون جرائم القاعدة في ذلك بأضعاف مضاعفة، وضحاياهم وتفجيراتهم في إيران والعراق وسوريا واليمن والبحرين والسعودية معروفة لا تحتاج إلى دليل!!

وإذا كان تنظيم القاعدة يحرّض الشعوب على أنظمتها عبر وسائل مؤقتة في المنتديات والمواقع الإلكترونية، فإن إيران ووكلاءها يسخّرون لذلك عدداً متزايداً من الفضائيات وبعدة لغات!!

فإلى متى ستبقى هذه الحالة الكئيبة من التبجّح بحرب القاعدة والسلفية الجهادية في مقابل غض الطرف عن السياسات الطائفية لإيران ووكلائها؟! وإلى متى يبقى هذا الفصام النكد.

أليس من العجيب والغريب أن يحتفل ويحتفي البعض ببيان هزيل يستنكر جرائم النظام السوري بعد سنة ونصف من شخصيتين شيعيتين لبنانيتين لا رصيد لهما في الشارع الشيعي بسبب عدم تطرفهما، فتجعل من بيانهما خطوة ضخمة وقفزة كبيرة ونفياً لإجماع الشيعة على نصرة جرائم بشار!! برغم أن أحداً من الشيعة لم يستجب للبيان الذي نشك في كونه نشر بين الشيعة أصلاً.

ولو قارنّا هذا الاحتفاء ببيان هزيل ممّن لا يؤثر في مقابل الإزدراء والإعراض عن مئات البيانات والتصريحات والإجماعات من أكبر علماء السنة والسلفية بالتبرؤ من منهج القاعدة، وبقاء هؤلاء الجهات تحمّل السلفية وزر ومسؤولية جرائم القاعدة!!

لنقارن بين وضع القاعدة والحوثيين في اليمن، فكلاهما مسلّح ويحارب الدولة، لكن يُغض الطرف عن اقتطاع الحوثيين لمحافظة صعدة – بعدة سبعة حروب مع الدولة - وجبي الضرائب من السكان والتطهير الطائفي بحق جيرانهم

السنة، ومع ذلك لا نجد لما يقوم به الحوثيون صدى في الإعلام!! ولنقارن هذا بحجم التغطية الإعلامية عن نشاط القاعدة في اليمن، ليتضح لنا الفرق.

ومن ذلك برنامج كامل في قناة العربية ضد القاعدة (صناعة الموت) فلا ندري أين هذا البرنامج من الميليشيات الشيعية في العراق واليمن ولبنان وسوريا والبحرين! أم هؤلاء يصنعون الحياة!!

ونتساءل هنا لو أن حزب الإصلاح والسلفيين وليس القاعدة هم من اقتطع محافظة من الدولة بقوة السلاح كيف سيكون ردة فعل الإعلام والساسة في المنطقة والإقليم والعالم؟؟

في البحرين وبسبب صدور أحكام بالحبس المؤبد على بعض المخربين والمجرمين من الشيعة بعد محاكمات معلنة واستوفت كافة درجات التقاضي، تثور حالة من الصخب الإعلامي ضد البحرين وخاصة من قناة BBC، بينما عشرات الإعدامات التي تنفذ في العراق بدون محاكمات أو بمحاكمات صورية وباعترافات تحت التعذيب والاغتصاب لا تجد من يهتم لها ويتحرك من أجلها، ولا شأن لمنظمات حقوق الإنسان بها، وهذا يشير إلى أن هذه المنظمات كثير منها مسيّس طائفياً ويشير أيضاً في ذات الوقت لضعف أهل السنة في المطالبة بحقهم وإثارة الإعلام لقضاياهم.

في العراق اتفقت كلمة العلمانيين والطائفيين من العرب والعجم والغرب على أن من حق الشيعة حكم العراق لكونهم أغلبية – وهي أكذوبة لا دليل عليها – لكنهم في سوريا يستكثرون على أهل السنة هذا الحق، وتتعالى الأصوات بالخوف على حقوق الأقليات، هذه الأقليات التي يسلّحها نظام بشار لقتل الشعب السوري لها حق المطالبة بحقوقها، لكن الأغلبية لا حقّ لها عندهم!!

وفي لبنان يحق للشيعة العفو عن أعضاء جيش لَحِدْ الجنوبي العميل لإسرائيل حمايةً للنسيج الوطني وإظهاراً للتسامح، بينما الحقيقة هي لكون جنود هذا الجيش العميل هم من الشيعة أما الضباط فمن المسيحيين، وعلى هذا المنوال تم العفو عن العميد فايز كرم، المدان بالتجسس لصالح إسرائيل، لكونه من جماعة عون حليف حزب الله!! واليوم يراد (لفلفة) جريمة الوزير ميشيل سماحة الذي كاد يفجر لبنان لصالح بشار الأسد، لكن أي سني يُسجن في لبنان فلا أمل في الإفراج عنه إلا بواسطة من حزب الله كما فعل مع عمر بكري، والذي خرج يسبح بحمد حزب الله!!

في مصر يسارع المفتي علي جمعة الصوفي وحبيبه علي الجفري اليمني لاستنكار هدم بعض الأضرحة في ليبيا لكنه لا يتحرك لإدانة هدم المساجد والسجود لبشار الأسد في سوريا بفتوى صديقهما وزميلهما في مؤسسة طابة الصوفية العالمية الشبيح محمد رمضان البوطي!!

وفي مصر تتعالى الأصوات بحلّ جماعة الإخوان ومراقبة تمويلها، ويحرض علناً على حرمانها من حقها الديمقراطي، في حين يصرف النظر عن حالة الدولة الكنسية في قلب الدولة المصرية وتمويلاتها المشبوهة!!

ويتباكى بعض اللئام على أن في الإسلاميين من لا يقبل بالديمقراطية ولا يتسع صدره لحرية الرأي بنقد الله عزوجل والإسلام أو الرئيس لأنه ملتزم، لكنهم حين يُنتقد أحدهم تقوم قائمتهم وتثور ثائرتهم، فهم ذوات مقدسة!!

إن بقاء هذه الحالة المائلة من السياسات الطائفية إن لم يحسم العقلاء من أهل السنة موقفهم منها، بتفعيل المواجهة القانونية والسياسية والإعلامية معهم حتى تستقيم الأمور على الصراط المستقيم، فستكون النتيجة استمرار حالة التعدي والتطاول على الثوابت الشرعية والأنفس والأموال المعصومة وتعرض بلادنا لمؤامرات وفتن مستمرة، وسيكون هذا سبباً لظهور حالة تطرف مضادة من بعض الشباب المتهور، ويكون هؤلاء قد تسببوا بجد في عودة التطرف والإرهاب لبلادنا!!

٦- العلامة الطيب العقبي (١٣٠٧-١٣٩١/١٩٣١-١٩٦١م)

أسامة شحادة(*)

تمهيد:

الشيخ الطيب العقبي من أركان الإصلاح في الجزائر، ومن أعمدة جمعية العلماء المسلمين فيها، كان صاحب مواقف قوية ضد الشرك والبدع والخرافات، حتى كان الطرقيون والمبتدعة يطلقون على دعاة التوحيد لقب «عقبي» !!

مولد العقبي ونشأته

هو الطيب بن محمد بن إبراهيم، ولد في شهر شوال سنة ١٣٠٧هـ الموافق لـ ١٨٩٠م في الجزائر بضواحي بلدة «سيدي عقبة» التي ينسب إليها.

هاجرت أسرته إلى الحجاز للحج سنة ١٣١٣هـ وكان صغيراً، ثم في السنة التالية سكنت عائلته المدينة النبوية في أول سنة ١٣١٤هـ/ ١٨٩٥م، هرباً من حملات الفرنسيين بتجنيد الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي، ولايزال بعض أقاربه في السعودية لليوم ويحملون جنسيتها.

وفي المدينة المنور قبر أبويه وعمه وعم والده وأخته، وجلّ من هاجر من أفراد عائلته، كلهم دفنوا هناك ببقيع الغرقد رحمة اللّه عليهم، وقد توفي والده والعقبي في سن الثالثة عشر، وبعد وفاة والده أصبح يتيماً فتربى في حجر أمه، وقد سخر اللّه له شقيقه الأصغر حيث كان هو من يقوم بقضاء ما يلزم من الضروريات المنزلية فتفرغ للعلم.

فقرأ القرآن على أساتذة مصريين برواية (حفص) ثم شرع بحضور دروس بعض العلماء بالحرم النبوي، مثل الشيخ محمد بن عبد اللّه زيدان الشنقيطي الذي أخذ عنه الأدب والسيرة، والشيخ حمدان الونيسي والذي كان من أبرز العلماء السلفيين في الجزائر وكان مربي ابن باديس، ثم هاجر للمدينة المنورة، وقد قابله ابن باديس في المدينة حين قدم للحج، وفي المدينة المنورة كان أول لقاء للعقبي مع ابن باديس والبشير الإبراهيمي، وكان لتأثرهم بالشيخ حمدان الونيسي أن اجتمعت

(*) كاتب أردني.

أفكارهم ونشاطهم السلفي على الإصلاح.

وقد نبغ العقبي في العلم برغم عدم انتظام دراسته في معاهد علمية وتميز في نظم الشعر والأدب، ثم عمل العقبي بالتدريس، وبدأ مسيرته الإصلاحية بالكتابة في الصحف الحجازية داعياً للإصلاح والعمل فلقيت مقالاته قبولاً عند المسلمين وفتحت له صداقة ومراسلة مع بعض المصلحين المعروفين كشكيب أرسلان ومحبّ الدين الخطيب، وأصبح من أنصار ودعاة فكرة الجامعة الإسلامية ضد أنصار الاستعمار والقوميات الضيقة كحزب الاتحاد والترقي، وبذلك ترسخ منهجه السلفي الإصلاحي وانتشر صيته ودوره بين المصلحين والنهضويين.

ولهذا قام ساسة ورجال حزب تركيا الفتاة بنفيه إلى شبه الجزيرة التركية أكثر من سنتين، عقب ثورة الشريف حسين بسبب مقالاته في الصحف ولعدم تعاونه معهم، وقد لحقت به عائلته بعد خراب المدينة، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى عاد إلى مكة المكرمة، فأكرمه الشريف حسين وتولى رئاسة تحرير جريدة «القبلة» وإدارة «المطبعة الأميرية» في مكة خلفا للعلامة محب الدين الخطيب.

وفي مكة زاد اطلاعه على الدعوة السلفية في نجد (دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب)، حتى لقب في الجزائر بالوهابي، بسبب نشاطه الكبير في الدعوة للعقيدة السلفية ونبذ الشرك، ومن الطريف أن العقبي يشابه الإمام ابن عبد الوهاب من حيث أنه حين عاد لبلده عاد سلفيا يحمل الدعوة للتوحيد ونبذ الشرك فعاداه قومه، وانظر للعقبي يلخص دعوته ومنهجه في أبيات شعرية فيقول:

ماتت السنة في هذي البلاد
قبر العلم وساد الجهل ساد
أيها السائل عن معتقدي
يبتغي مني ما يحوي الفؤاد
إنني لست ببدعـي ولا
خارجي دأبه طول العناد
منهجي شرع النبي المصطفى
واعتقادي سلفي ذو سداد
لم أطُف قط بقبر لا ولا
أرتجي ما كان من نوع الجماد
لا أنادي صاحب القبر أغث
أنت قطب أنت غوث وسناد
لا أسوق الهدي قربانا له
زردة يدعونها أهل البلاد

ويقول:

مذهبي شرع النبي المصطفى
واعتقادي سلفي ذو سدادْ
خطتي علمٌ وفكـرٌ ونظرْ
في شؤون الكون بحثٌ واجتهادْ
وطريق الحق عندي واحدٌ
مشربي مشربُ قربٍ لا ابتعادْ

رجوعه إلى الجزائر

رجع الشيخ العقبي إلى الجزائر في ١٩٢٠/٣م بهدف حماية أملاك العائلة من اعتداء البعض عليها، وبسبب اضطراب الأوضاع في الحجاز بين الشريف حسين والملك عبد العزيز بن سعود، فعاد للجزائر بنية حماية أملاكهم المعتدى عليها، ثم الرجوع إلى الحجاز.

لكن لم يكتب له العودة للحجاز وبقي في الجزائر، وقد جوبه العقبي بمعاملة فظة من الاستعمار الفرنسي إذ عاملوه معاملة مهينة واستقبلوه باعتقال لنحو شهرين واستجواب وتفتيش ووضع تحت المراقبة!

ثم اصطدام بالجهلة والمزيفين من أهل العلم فأثرت على نفسيته فانزوى وانقطع عن العلم والكتابة في الصحف، وحين كتب بعد عدة سنوات بعض الآراء والأفكار في مسائل تخص العلم والدين ثارت ثائرة الجامدين ضده.

وقد عاد العقبي للجزائر بشخصية حجازية في ملبسه ومنطقه وفكره، وبقي يحنّ للحجاز والعودة

إليهم، وقد وصف الشيخ ابن باديس حنين العقبي للحجاز أثناء سفرهم إلى باريس ضمن وفد المؤتمر الإسلامي، في سنة ١٩٣٦م وهم على متن السفينة التي تقلّهم قائلا: «فلما ترنحت السفينة على الأمواج وهبّ النسيم العليل هب العقبي الشاعر من رقدته وأخذ يشنف أسماعنا بأشعاره ويطربنا بنغمته الحجازية مرة والنجدية أخرى ويرتجل البيتين والثلاثة، وهاج بالرجل الشوق إلى الحجاز فلو ملك قيادة الباخرة لما سار بها إلا إلى جدة، وإن رجلا يحمل ذلك الشوق كله للحجاز ثم يكبته ويصبر على بلاء الجزائر وويلاتها ومظالمها لرجل ضحّى في سبيل الجزائر أي تضحية»، ومن شعر العقبي في الحجاز قوله:

سلام على أرض الحجاز سلام

ولست على حبي الحجاز أُلام

سلام على آل وصحب عهدتهم

وإن بعدت منهم عليك خيام

بداية نشاطه الدعوي

أقام بمنطقة بسكرة حين رجع إلى الجزائر، وكانت دروسه العلمية والوعظية لطلبة العلم والعامة في مسجد «بكار» والذي لم يكن يخضع للطريقة التيجانية، فكان يدرّس كتاب الجوهر المكنون وكتاب القطر في النحو، ودرس في التفسير للعامة من تفسير المنار، وكان يعقد مجالس أدبية يحضرها أدباء ومثقفون أمثال الأمين العمودي ومحمد العيد آل خليفة.

وبسبب هذا النشاط سرعان ما قامت السلطة الفرنسية باعتقاله قرابة شهر ثم أفرج عنه، فعاد أقوى مما كان في الدعوة للتوحيد والأخلاق الفاضلة وحرب الطرقية والخرافات، في المساجد والصحف التي يشرف عليها العلامة ابن باديس (المنتقد والشهاب) وكانت مقالاته من المقالات الهامة فيهما، فتجمع حوله مجموعة من الأدباء والمصلحين، وتحالف ضده الطرقيون الخرافيون والجامدون.

وقد سعى الطرقيون إلى الطلب من والد ابن باديس أن يوقف هذه المقالات، فاستجاب ابن باديس لهم ونشر بياناً بعنوان «في سبيل الوفاق» يطلب من العقبي وبقية كتاب المنتقد والشهاب الكتابة في مواضيع أخرى، جاء فيه: «بما أنّ هذا الموضوع قد أخذ حظّه من البحث والنّقاش فإنّ الجريدة تعتذر لقرّائها عن اضطرارها لإغلاق هذا الباب،... وعلى كتّابها الأكارم أن يواصلوا مراسلاتهم في غير هذا الموضوع، فالمواضيع واسعة وخدمة المجتمع فيها أجدى وأنفع...» فرفض العقبي ذلك واعتبر الطلب مهادنة للطرقيين وتوقف عن الكتابة، فما كان من ابن باديس إلا أن ذهب إليه في بسكرة وقابله للعودة للكتابة، فكانت النتيجة أن تراجع ابن باديس عن توقيف المقالات ومعاودة الكتابة ضد مفاسد ودجل الطرقيين.

يرى بعض الباحثين أن اختلاف البيئة التي نشأ فيها كل من العقبي وابن باديس هو سبب تنوع طرائقهم في الدعوة والإصلاح، فالعقبي نشأ في بيئة حجازية لم تكن بمستوى مظاهر الكهنوتية الشركية التي ابتدعتها الطرق الصوفية في الجزائر تضلل الناس بها وتبتز أموالهم، وتسوقهم سوق الأنعام في صور مجموعات بشرية ساذجة، والأكثر من ذلك أنها تجعلهم يستطيبون العيش تحت حذاء الأجنبي الكافر، بينما كان ابن باديس، ابن مدينة قسنطينة، أكثر اطلاعاً ومعرفة بعقلية الجزائريين، ولذلك كان العقبي يتخذ طابع الصراحة التامة وترك المجاملة مع المعارضين خصوصا في الأمور الدينية، في حين كان ابن باديس يتبع اللين والمرحلية مع المعارضين، وقد جعل أولويته نشر التعليم والتربية للناشئة وتهيئتها لخوض غمار المستقبل، بينما كان همّ العقبي نشر الإصلاح وتعميقه وتعميمه على الجميع، فكان السلاح الأول خفيا بطيء التأثير، وكان السلاح

الثاني ظاهرا سريع التأثير.

وبسبب هذه الحادثة سعى العقبي لتأسيس مجلة له ولإخوانه في بسكرة فظهرت جريدة «صدى الصحراء» في ديسمبر ١٩٢٥م، ثم انفرد بتأسيس جريدة «الإصلاح» وذلك في ٨ سبتمبر ١٩٢٧م، وقد صدر من هذه الأخيرة ١٤ عددا ثم أوقفتها السلطة الفرنسية وذلك في سنة ١٩٢٨م.

وحين أسس «الإصلاح» اعتذرت المطبعة الإسلامية بقسنطينة عن طباعتها فطبعها في تونس، ولذلك عزم على تأسيس مطبعة، وفعلاً تم تأسيس «المطبعة العلميّة» مع مجموعة من زملائه، ولكن هذا استغرق منهم ثلاث سنوات، ولذلك صدر العدد الثاني في السنة الثالثة من عمر المجلة، وهذا يدلنا على الإرادة والإصرار اللذين كان يتحلى بهما العقبي، ومنهجه القائم على البحث عن الحلول وعدم البقاء في مربع المشاكل والعوائق.

وهذا الاهتمام من العقبي بالصحف كان بسبب رؤية عميقة لدور الإعلام في نهضة الأمة، يقول العقبي في جريدة المنتقد (العدد الخامس): « إن الجرائد في الأعصر الأخيرة هي مبدأ نهضة الشعوب، والعامل القوي في رقيّها، والحبل المتين في اتصال أفرادها، والسبب الأول في تقدمها، والصحافة هي المدرسة السيارة والواعظ البليغ، وهي الخطيب المصقع والنذير العريان لذوي الكسل والبطالة، وهي سلاح الضعيف ضد القوي، ونصرة من لا ناصر له، وهي تأخذ الحق وتعطيه، وترمي الغرض فلا تخطيه وهي المحامي القدير عن كل قضية حق وعدل».

مشاركته في تأسيس جمعية العلماء المسلمين في الجزائر

لقد كان العقبي بما له من دور بارز وهام في حمل راية الإصلاح والدعوة والتوحيد في الجزائر من المؤسسين البارزين لجمعية العلماء، ولذلك انتخب ضمن مجلس الإدارة.

وعين نائب الكاتب العام وممثلها في عمالة الجزائر، وتولى رئاسة تحرير صحف الجمعية (السنة والشريعة والصراط)، ثم جريدة (البصائر) من أول عدد صدر لها صدر في ٢٧ سبتمبر/ أيلول ١٩٣٥م إلى العدد ٨٣ الصادر في ٣٠ سبتمبر ١٩٣٧م حيث انتقلت إدارتها إلى قسنطينة، وكان العقبي في مقارعة شجاعة مع مختلف صحف الطرقيين (الإخلاص، المعيار، البلاغ الجزائري) التي حظيت بدعم سلطة الاحتلال بعكس صحافة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

ومن نشاطاته في جمعية العلماء: إشرافه على مدرسة الشبيبة الإسلامية ودعا إلى إنشاء منظمة شباب الموحدين..

وكانت له أنشطة أخرى خارج نطاق جمعية العلماء، فقد كان رئيسا للجمعية الخيرية الإسلامية، ومحاضرا دائماً في نادي الترقي منذ مجيئه للعاصمة سنة ١٩٣١م، بعد تأسيس جمعية العلماء وحتى أقعده المرض سنة ١٩٥٨.

أما سبب كونه خطيب ومحاضر النادي فهو أن أهل النادي كانوا يبحثون عن عالم يتولى مهمة المحاضرة والتدريس فيه، فلما حضر العقبي اجتماع جمعية العلماء المسلمين الأول وألقى محاضرة خلبت الألباب وأثرت في النفوس، رأى فيه أهل النادي الأهلية لأداء تلك المهام فاتفقوا معه على أن ينتقل إلى العاصمة.

وكانت له دروس في مساجد العاصمة كالمسجد الجديد والمسجد الكبير في التفسير والعقيدة والفقه، والتي لمس سكان العاصمة تأثيرها بينهم.

عداء الفرنسيين له

كان للشيخ نشاط كبير ودائم وتأثير بالغ في سكان العاصمة خشي منه الفرنسيون على سلطانهم، بحيث يحرض العقبي الجزائريين على الثورة، ومن آثار تأثير العقبي في حياة الجزائريين

هجر الناس لشرب الخمر والميسر ومواطنها، ورجع أكثرهم إلى بيوت الله بعد أن خلت منهم، وقد كان الفرنسيون هم من يسهل وجود الخمر بين الجزائريين، كحال المستعمر في كل مكان وعلى غرار إغراق الصين بالأفيون من قبل البريطانيين.

يقول الشيخ أحمد حماني: «فأقبل الناس عليه وأثّر في الوسط تأثيرا كبيرا، وقل الفساد والسكر والاعتداء، وكان مستشريا بالعاصمة، وانخفضت نسبة الجرائم، وتفتحت العقول والأذهان، وزالت منها كثير من الخرافات والبدع والأوهام، وصار للحركة جمهور غفير، خصوصا من العمال والشباب الذي سماه الشيخ العقبي (الجيش الأزرق) لما كان يمتاز به العمال من لباس البذل الزرقاء».

وبسبب تحالف الطرقيين والسلطات الفرنسية ضده، (وقد حاولوا استمالته فعرضوا عليه منصب الإفتاء فرفض)، أصدار الوالي «ميشال» قراراً بمنع الشيخ من التدريس سنة ١٩٣٣م وجعل السبب أن العقبي ينشر المذهب الوهابي! في دلالة واضحة على تحالف الطرقية الصوفية مع المحتل الفرنسي ضد دعوة العقبي، لكن احتجاجات سكان العاصمة ونوابهم أجبرت السلطات على إلغاء القرار.

ولّما لم تنجح هذه المحاولات دُبرت مؤامرة لاتهام العقبي بقتل المفتي محمود بن دالي (كحول) والذي كان مخالفاً للجمعية ومحسوباً على الطرقية، وذلك بهدف تعطيل نتائج المؤتمر الإسلامي االذي شارك فيه العقبي مع ابن باديس والإبراهيمي في فرنسا ولعب فيه دورا بارزا للتصدي للاحتلال الفرنسي للجزائر، وفعلا فقد نجحت فرنسا في زعزعة المؤتمر الإسلامي وبث الفرقة بين العلماء والساسة وكبار المتبرعين للمؤتمر، وهو الأمر المهم لاحقاً لإقصاء الجمعية عن قيادة الجزائر بعد حرب التحرير وصعود التيار العلماني.

وكحُول المفتي كان عميلاً رخيصا لفرنسا، ولأنه كان معارضاً للمؤتمر الإسلامي رأت فرنسا أن توعز لأحد مجرميها ويدعى (عكاشة) بقتله لتستفيد من موته أكثر من حياته ومن ثم تتهم العقبي بقتله، وادعى عكاشة أنه تسلم من العقبي خنجرا ومبلغ ٣٠٠٠٠ فرنكا، فاعتقل العقبي وزميل له، وتعمد الفرنسيون إهانته عند اعتقاله من نادى الترقي، اذ أخرجته حاسر الرأس وهذه كبيرة من الكبائر عند الجزائريين، وأخرجته مكبل اليدين مع شتمه على يد شرطة سنغالية كانت فرنسا تستعملهم دوما في المهمات القذرة.

يقول ابنه: «إن الشرطة الفرنسية داست بأقدامها برنوس الشيخ أثناء خروجه من النّادي، كما خاطبته بأسلوب جاف وشتمته أمام الملأ، وقد حزن الشيخ حزنا عميقا لذلك»، وأغلق نادي الترقي، وضيق على أعضاء الجمعية في العاصمة.

وقد ثارت الجماهير احتجاجا على اعتقال الشيخ العقبي وصاحبه فكادت تحدث فتنة عمياء لولا أن توجه إليهم ابن باديس والإبراهيمي بأن يقابلوا الصدمة بالصبر والتزام الهدوء والسكينة، مما أفشل على السلطات إغلاق الجمعية بحجة الشغب والفوضى.

وقضى العقبي في سجن بربروس ستة أيام، قبل أن يتراجع عكاشة عن اتهامه للشيخ وصاحبه، فأفرج عنهما بصفة مؤقتة، بتعهد عدم مغادرة العاصمة ووُضِعا تحت المراقبة، ولكن السلطات أخذت تماطل في إنهاء القضية سنة ونصف حتى صدر حكم بالبراءة للعقبي، لكن فرنسا سرعان ما اعترضت على الحكم واتهمته مرة أخرى لتستمر المعاناة ثلاث سنوات حتى صدر حكم ببراءة العقبي وصاحبه وحكم بالسجن المؤبد على شخصين، وبعشرين سنة على شخص ثالث.

وفي هذه السنوات الثلاث (١٩٣٦ – ١٩٣٩) استمر العقبي يحاضر ويدرّس في نادى الترقي برغم ما يعانيه من قلق الحكم عليه ظلماً بالإعدام أو

السجن المؤبد، لكن العقبي كان يعلم أنها سنة الله عز وجل، فهو القائل: «قد ابتلانا اللّهُ تعالى بهذا ليمتحنَ إيماننَا وصدقنَا، وهذه سُنّةُ اللّهِ فيمن سبقنا من الأنبياءِ والعظماء»!!

كتب البشير الإبراهيمي حول النتائج الإيجابية لهذه المؤامرة على الشيخ العقبي فقال [الآثار (٢٧٩/١)]: « ومن آثار هذه الحادثة على الأستاذ العقبي أنها طارت باسمه كل مطار ووسعت له دائرة الشهرة حتى فيما وراء البحار، وكان يوم اعتقاله يوما اجتمعت فيه القلوب على الألم والامتعاض، وكان يوم خروجه يوما اجتمعت فيه النفوس على الابتهاج والسرور».

ومما يؤكد كلام الإبراهيمي عن دور العقبي في الجزائر ووقوف الجزائريين والعلماء معه، أن ابن باديس الذي لم يوقف دروسه طيلة عمره حتى عندما توفي بكره الوحيد وعمره ١٧ سنة، أوقف دروسه في قسنطينة لحضور محاكمة العقبي في العاصمة.

خلاف العقبي مع إخوانه في جمعية العلماء حول دعم فرنسا بالحرب العالمية الثانية

أثناء محاكمة العقبي ظهرت نذر الحرب العالمية الثانية، فاستدعت السلطات الفرنسية العقبي وطلبت منه التوقيع على برقية تأييد لفرنسا ودعمها فوافق، ولكن السلطات طلبت أيضاً توقيع رئيس الجمعية ابن باديس، لكن ابن باديس رفض ذلك، ومع إصرار العقبي طرح ابن باديس الموضوع على إدارة الجمعية.

وتم إجراء تصويت حول إرسال برقية تأييد من الجمعية لفرنسا فكانت النتيجة: ١٢ صوتاً معارضاً لذلك ومع رأي ابن باديس، و٤ أصوات موافقة لرأي العقبي، فلم تُرسل البرقية، وكان منطلق الشيخ العقبي أن الشعب الجزائري ليس مستعداً بعد لمقاومة الاحتلال وأن الجمعية لا ينبغي لها أن تخوض الآن في العمل السياسي وأنه ليس من مصلحة الجمعية استعداء فرنسا في هذا الظرف.

ويقال إن الشيخ العقبي قال لابن باديس: أنت ليس لك أبناء، أما أنا فإني مسؤول عن ثمانية أولاد! فرد الإمام ابن باديس قائلا: أنا عندي ٨ ملايين ابن (يقصد كل أفراد الشعب الجزائري آنذاك)!

ويقال إن فرنسا طلبت من العقبي أن يرسل برقية باسمه بعد استقالته من إدارة جمعية العلماء، لكنه رفض، في دلالة على أنه كان مخلصاً في رأيه لمصلحة الجمعية، وليس لمصلحته الخاصة.

ويروي الشيخ عبد الرحمن شيبان رئيس جمعية العلماء الحالي قصة واقعية لحقيقة موقف العقبي من تأييد فرنسا في الحرب العالمية، فيقول: «في بداية الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩- ١٩٤٥م) كنتُ مجندا في إحدى الثكنات العسكرية بالبليدة، فساروا بنا إلى حضور مهرجان إعلامي دعائي أقيم في قاعة سينمائية كبيرة، للتنويه بمحاربة الحلفاء للدولة الألمانية الباغية، وما هي إلا لحظات حتى رأيتُ مندهشا فيمن يرى المصلح الكبير الشيخ الطيب العقبي يصعد إلى المنصة ليطلب إلى الجزائريين الحاضرين من المدنيين والعسكريين تأييدا كاملا مطلقا لفرنسا وحلفائها، في حربها الدفاعية من أجل الحرية والعدل والديمقراطية في العالم.

فإذا بالعالم المصلح الشيخ الطيب العقبي يفتتح خطبته بلمحة تاريخية للعالم العربي والإسلامي مع السياسة الاستعمارية الغاشمة التي درجت عليها فرنسا وبريطانيا في المشرق والمغرب، مندداً بخيانة الحلفاء لوعودهم لمن ضحوا بدمائهم من الشعوب المستعمرة في سبيل انتصارهم سنة ١٩١٨م.

فكانت مقدمة خطاب الشيخ العقبي خيبة مريرة للسلطة المدنية والعسكرية التي نظمت المهرجان الإعلامي والدعائي مما جعل منظمي المهرجان يقطعون التيار الكهربائي فانطفأت الأضواء وانقطع صوت الشيخ الجليل وتفرق الجمع، بابتهاج الجزائريين وحسرة من

الاستعماريين مدنيين وعسكريين».

ولكن في تلك الظروف والملابسات ظن بعض الناس أن موقف العقبي بتأييد فرنسا في حربها ضد ألمانيا هو بسبب محاكمته، وأن فرنسا استمالته بأن يقف هذا الموقف لتخفف عنه العقوبة، ويبدو أن بعضهم تورط في الطعن بالشيخ العقبي، مما سبب له جرحاً وولّد في قلبه مرارة عبّر عنها بقصيدة قال فيها:

أسفي على الآداب والأخلاق
أسفي على الذوق السليم الراقي
أسفي على بعض الرفاق فإنهم
فقدوا سجية كاملي الأذواق
عهدي بهم والرفق من أخلاقهم
فإذا بهـم خَلْق بدون خَلاق
لا يؤثرون رفيقهم ولو اقتضى
حال الرفـاق الرفد بالإرفاق
فتراهم يستأثرون وإن عدوا
نهج الهدى ومكارم الأخلاق
حسبوا الزعامة في الظهور وما دروا
أن الظهـور وسيلة الإخفاق
ما ساد من لم يحتفظ لرفيقه
بحقـــــوقه وبعهد ود باق
كلا ولا نال الزعامة غير من
ضحى بصالح نفسه لرفاق

وبـــسبب ذلـــك تخلـــى العقـــبي عـــن إدارةِ جريـــدة «البـــصائر» في ديـــسمبر/ كـــانون الأول ١٩٣٧م، ثـم اسـتقال مـن إدارة الجمعيـة حتـى لا يتـسبب بخلافـات وصـراعات داخليـة للجمعيـة، مـع بقائه عضوا فيها.

وفيمـا يلـى وجهـة نظـره في الخـلاف مـع إخوانـه في الجمعية:

❖ «فلـم تطـاوعني نفـسي علـى تعطيـلِ الجريـدةِ.. وكافحـتُ جهـدي حتّـى أوصلتُها إلى الاجتمـاع العـامّ، واسـتعملتُ كـلّ الوسـائل لتعديلِ ميزانيّتها فلـم أقـدر علـى ذلـك، كمـا أنّـني لم أقـدر وأنـا مـعَ مـا أنـا عليـهِ مـن شـواغب وشـواغل أنْهَكَـت قـوايَ وأضـعفَت جسمي أن أقومَ بعملِ جماعةٍ وحدي...».

❖ « قـد تأسّـست جمعيّـةُ العلمـاء علميّـة دينيّـة لا غـير، ولكـنّ أعـداءها كثـرت أصـنافهم وتنوّعـت مكائـدهم، واتّحـدت مقاصـدهم للقـضاءِ عليهـا، وأوّلـوا بعـض إجراءاتِها بمـا هـي بريئـة مـن مقـصدها وبعيـدة عـن إرادتها، ولقـد كنـتُ دائمًـا معارضًـا لهـا، وفي اعتقـادي أنّ الـبلاءَ انـصبّ علـى جمعيـة العلمـاء مـن بعـض إجراءاتهـا أوّلها المـضادّون لها بـصور غـير لائقـة، وكـم كنـتُ أتـألّم لمثل هـذه الإجـراءات، وكـم كنـتُ أحـذِّر وأُنـذر لأنّـني أعلـمُ كـثيرًا ممّـا لا يعلمُـون، ولكنّهـا كانـت تقـعُ رغـم أنفـي لأنّ الأغلبيّـةَ كانـت علـى خـلافِ رأيـي...»، يقـصد بعـض النـشاطات السياسية.

❖ « أؤكـد لكـل إخـواني إنـي وقفـت هـذا الموقـف وأنـا غـير متـأثر مطلقًـا بـأيِ إيعـاز مـن الإيعـازات الحكوميـة ولا قاصـد علـم الله وهـو العلـيم بمـا في الـضمائر المطلـع علـى مـا في الـصدور إلى تملـق أي ناحيـة إداريـة ولكـن شـفقتي علـى البقيّـة مـن ثمـرات هـذه الأمـة وحرصـي علـى المـصلحةِ العامّـةِ، مـع تقـديري للظُّـروف والوضـعيّةِ الحاضـرةِ، كـلّ أولئـك حملـني علـى الإصاخةِ لـصوتِ ضـميري فقـط... غـيرَ آبـهٍ بما قيلَ وبما عسَى أَن يُقَالَ».

❖ « وقـد آليـتُ علـى نفـسي أن لا أعـودَ إليهـا كعـضوٍ إداريٍّ مـا دمـتُ حيًّـا، هـذا مـع إيمـاني بـأنّ مبـادئَ هـذه الجمعيّـة الّـتي أسّـست للعمـل بهـا والـسّير عليهـا إنّمـا هـي مبـادئُ الإسـلام الحقّـة... وإنّ أعـضاءها هـم إخـوانٌ لـي في الحركـة الإصـلاحيّة، والمبـدأ الحـقّ الّـذي عاهـدنا اللهَ علـى العمـلِ بـه والتّضامنِ فيـه حتّـى الـنّفس الأخـير مـن حياتِنـا... ولْتَقـرّ أَعْيـنُهُمْ ببُعْـدِ العُقـبيّ عـن إدارةِ هـذه الجمعيّـةِ الّـتي ترَكَهـا والأسـتاذُ – رحمـه الله- ابـن بـاديس قـويٌّ يعمَـلُ مُتَـوَدِّدًا ومُتقرّبًـا إليّ بكُلّ ما في وُسعهِ من أسبابِ التّودُّدِ والتّقرّبِ...».

❖ «مـاتَ ابـن بـاديس ودفـن مبكيًّـا مأسـوفًا عليـه؛

فلتمت ولتدفن حفائظ وحزازات وأحقاد كوّنتها أغراض شخصيّة ومقاصد سيّئة لمن يلذّ لهم دائمًا الاصطياد في الماء العكر، وليتّقوا اللّه في أنفسِهم وفي إخوانهم المسلمين الّذين هم في هذا الوقت أحوج ما يكونون إلى الاتّحاد والاتّفاق وجمع الكلمة وليعلمُوا أنّ بلادَنا الفقيرة من الرّجال العاملين كلّما فقد منها رجل من رجالها القليلين تفقد معه ناحية من الكمال لا يقدر غيره على تعويضها؛ وسدّ الفراغ الّذي يترك من وراء فقدها. وبعد هذا كلّه فلينته المرجفون في المدن والقرى عن إرجافهم وباطلهم وليعلموا أنّا وهم ميّتون؛ وإنّا إلى اللّه جميعًا راجعون!!..»، تعليقاً على عدم حضوره جنازة صديقه ابن باديس.

❖ « يَهْرِفُ النّاسُ ويُثَرْثِرُونَ بمَا بَيْنِي وبَيْنَ الشيّخ عبدِ الحميد من خلافٍ وخصامٍ وسوف لا ينتهي كلامُ النّاس ما دامُوا عبيدَ أنفسهم ومختلف أهوائِهِم...».

❖ «فاجأتنا أنباء قسنطينة التلفونية والبرقية بوفاة رئيس جمعية العلماء الأستاذ الجليل الشيخ عبد الحميد بن باديس، فعزّ علينا نعيه وآلمنا فقده في هذه الظروف التي نحن أحوج ما نكون فيها إلى علم العلماء وإصلاح المصلحين الذين ضحوا بكل مرتخص وغال في سبيل الحركة الإصلاحية .. فمَن للعلماء وجمعيتهم بعد ابن باديس؟ ومَن للجامع الأخضر ودروسه بعد الراحل الكريم والفقيد العظيم الذي ترك فراغا لا يسده سواه، وخلف وحشة على العلماء والمصلحين لا مؤنس لهم من ورائها إلا الله فإنا لله وإنا إليه راجعون..».

والحقيقة في علاقة العقبي وابن باديس وخلافهما هي ما قاله رفيق العقبي وتلميذه الأول محمد العيد آل خليفة:

خصمان فيما يفيد الأمة اختصما

إياك أن تنقص الخصمين إياك

كلاهما في سبيل الله مجتهد

فلا تلومن لا هذا و لا ذاك

وبقيت روح التعاون والمودة موجودة بين العقبي وقادة جمعية العلماء، فقد هنأ الإبراهيمي رئيسُ الجمعية بعد ابن باديس العقبي على صدور جريدة الإصلاح، وكان العقبي والإبراهيمي عضوين في الهيئة العليا لإعانة فلسطين، حيث كان الشيخ الإبراهيمي رئيسها وكان الشيخ العقبي أمين مالها، وقد شهد له الإبراهيمي بأنه الروح المدبرة لتلك الهيئة، كما شارك إخوانه رجال الجمعية في أعمال أخرى منها مواصلة المطالبة بتحرير المساجد وفتحها للعلماء الأحرار.

العقبي بعد استقالته من إدارة الجمعية

بعد استقالته من إدارة الجمعية لم يتوقف نشاط العقبي في الدعوة الإسلامية والعمل الإصلاحي، فأعاد إصدار جريدته «الإصلاح» في ٢٨ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٣٩ والتي استمرت إلى العدد ٧٣ الصادر في ٣ مارس/ آذار ١٩٤٨.

وأسس في نادي الترقي سنة ١٩٤٧م «لجنة الدفاع عن فلسطين»، والتي تطورت لتصبح «الهيئة العليا لإغاثة فلسطين» كهيئة جزائرية مشتركة بين عدة اتجاهات سنة ١٩٤٨، والتي تمكنت من جمع ثمانية ملايين فرنك كتبرعات من الشعب الجزائري الذي هبّ لدعم ومساندة فلسطين ماديا ومعنويا رغم ظروفه القاسية، وقد قام العقبي ضمن وفد الهيئة بزيارة الأردن سنة ١٩٥٠م لإيصال الأموال لمستحقيها، وزيارة اللاجئين الفلسطينيين هناك.

وكوّن الشيخ الطيب العقبي منظمة «شباب الموحدين» (١٩٥٠- ١٩٥٢م) لنشر الدعوة السلفية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأصدرت عدة جرائد مثل: الداعي والقبس والمنار واللواء، وكان مديرها ورئيس تحريرها الشيخ أبو بكر الجزائري شفاه الله.

وبقيت مقالاته تطالب بحرية التعليم العربي ومقاومة فرنسة المجتمع الجزائري.

ولم يتوقف عن الدعوة إلا بسبب وطأة مرض السكري عليه، والذي أصيب به سنة ١٩٥٣ والذي أقعده سنة ١٩٥٨ عن الدعوة وألزمه الفراش في بيته بحي بولوغين.

تراث الشيخ وتلاميذه:

ترك الشيخ العقبي آثارا كثيرة مكتوبة لو تتبعت وجمعت لجاءت في مجلدات، لأنها في غالبها مقالات في الصحف والمجلات، ومن أبرز تلاميذه: فرحات بن الدراجي (١٩٠٩ - ١٩٥١)، وعمر بن البسكري (١٨٨٩ - ١٩٦٨)، ومحمد العيد آل خليفة (١٩٠٤ - ١٩٧٩)، أبو بكر الجزائري، شفاه الله تعالى، المدرس بالمسجد النبوي.

من أقوال العلماء عنه:

❖ قال صديقه ابن باديس: «من ذا الذي لا يتمثل في ذهنه العلم الصّحيح والعقل الطاهر، والصّراحة في الحقّ والصّرامة في الدِّين، والتّحقّق بالسّنّة، والشّدّة على البدعة، والطِّيبة في العِشرة، والصِّدق في الصُّحبة إذا ذُكِرَ الأستاذُ العُقبيُّ».

❖ قال الشيخ الإبراهيمي: « هو من أكبر الممثلين لهديها – أي الجمعية – وسيرتها والقائمين بدعوتها، بل هو أبعد رجالها صيتا في عالم الإصلاح الديني وأعلاهم صوتا في الدعوة إليه... وإنما خلق قوّالا للحق أمّارا بالمعروف نهّاء عن المنكر وقافا عند حدود دينه، وإن شدته في الحق لا تعدو بيان الحق وعدم المداراة فيه وعدم المبالاة بمن يقف في سبيله».

❖ قال الشيخ المبارك الميلي: « ولكن أتى الوادي فطم على القرى، إذ حمل العدد الثامن في نحره المشرق قصيدة «إلى الدين الخالص» للأخ في الله داعية الإصلاح وخطيب المصلحين الشيخ الطيب العقبي أمد الله في أنفاسه، فكانت تلك القصيدة أول المعول مؤثرة في هيكل المقدسات الطرقية، ولا يعلم مبلغ ما تحمله هذه القصيدة من الجراءة ومبلغ ما حدث عنها من انفعال الطرقية، إلا من عرف العصر الذي نشرت فيه وحالته في الجمود والتقديس لكل خرافة في الوجود».

❖ قال أحمد توفيق المدني :«كان خطيبا مصقعا من خطباء الجماهير، عالي الصوت سريع الكلام، حاد العبارة يطلق القول على عواهنه كجواد جامح دون ترتيب أو مقدمة أو تبويب أو خاتمة، وموضوعه المفضل هو الدين الصافي النقي، ومحاربة الطرقية ونسف خرافاتها والدعوة السافرة لمحاربتها ومحْقها».

❖ قال الشيخ أبو يعلى الزواوي : «العلامة السلفي الصالح داعية الإصلاح الديني».

❖ قال العلامة شكيب أرسلان: «... فالميلي وابن باديس والعقبي والزاهري حملة عرش الأدب الجزائري الأربعة».

❖ قال الشيخ محمد تقي الدين الهلالي: « الأستاذ السلفي الداعية النبيل الشيخ الطيب العقبي».

وفاته

وقد كان العقبي داعيةً في حياته وموته، فقد أوصى بشدة وإلحاح بأن تكون جنازته على السنة بعيدة عن البدع، فلا يكون فيها ذكر جهري ولا قراءة البردة، ولا حتى قراءة القرآن حال التجهيز أو حين الدفن، وأن لا يؤذن لأي واحد من الحاضرين أن يقوم بتأبينه قبل الدفن أو بعده.

وقد توفي الشيخ الطيب العقبي رحمه الله تعالى في ٢١ مايو/ أيار ١٩٦١م، ودفن في مقبرة «ميرامار» بالرايس حميدو، لأنها مقبرة شعبية خالية، بتأثير العقبي، من الشركيات والبدع التي يأتيها الجهلة على القبور، وكانت جنازته جنازة مهيبة حضرها قرابة خمسة آلاف شخص.

مراجع للتوسع:

❖ ترجمة ذاتية، كتبها بنفسه ونشرت في الجزء الأول من كتاب «شعراء الجزائر في العصر الحاضر» لمؤلفه الأديب الجزائري الكبير الأستاذ محمد الهادي السنوسي الزاهري.

❖ مجموعة مقالات متنوعة عن الشيخ الطيب العقبي في شبكة الإنترنت تجدها في موقع الشيخ الطيب العقبي.

صفحات من تاريخ حركة الحشاشين (٤) في بلاد الشام

نوفل الجبلي(*) – خاص بـ «الراصد»

تمهيد ..

تواجد الحشاشون في بلاد الشام عن طريق الدعاة المبشِّرين بالفكر الإسماعيلي الباطني النِّزاري؛ والذين أرسلهم مؤسس الحركة (الحسن بن الصبّاح) من قلعة ألموت (مقر القيادة المركزية) في بلاد فارس. فبعد تحقيق بعض النجاحات والسيطرة على الكثير من القلاع والحصون في بلاد قزوين، تطلَّع الحشاشون إلى الحصول على موضع قدم في بلاد الشام..

كان من أبرز وأوائل دعاتهم: بهرام الاستراباذي، وإسماعيل الفارسي، ورشيد الدين شيخ الجبل[1].. وغيرهم. في بادئ الأمر لم يحقق دعاتهم شيئاً يُذكر على أرض الواقع، ولم يلاقوا قبولاً بين الناس؛ لأنهم كانوا يعانون من اختلاف اللغة، واختلاف البُنية الاجتماعية في الشام عن أرض فارس التي ينتمون إليها. ولكن هذا لم يُثنِهم عن الاستمرار في نشر ما يعتقدون، حتى استفادوا من عدة عوامل ساعدتهم على إيجاد كيان سياسي وعقدي خطير.

أما جرائمهم فلا تكاد تختلف عن جرائم أبناء ملَّتهم في العراق وبلاد فارس، فقد اعتمدوا على الاغتيالات المنظَّمة للشخصيات الإسلامية المهمة، وعلى نهب الأموال وقطع الطرق، واتخذوا من ذلك سبيلاً لتحقيق مآربهم ..

لماذا الشام؟

توجهت أنظار الحسن بن الصبّاح ودعاته تلقاء بلاد الشام، وذلك لعدة أسباب؛ من أهمها:

❖ وجود طوائف شيعية كالعلويين والإسماعيلية القديمة في بعض المناطق السورية، تتفق في كثير من العقائد مع الحشاشين النزاريين، مما يسهّل من عملية حشدهم وتوحيدهم تحت لواء واحد. أي: أن سوريا يوجد بها جمهور يستسيغ ويتقبل أفكارهم، يستطيعون من خلاله تشكيل قاعدة شعبية جماهيرية تساعدهم..

❖ الاستفادة من التضاريس السورية التي تمكنهم من ممارسة سياستهم المتمثلة في (التغلغل والتحصن والهجوم)، فسوريا تمتد بين جبال طوروس شمالاً، وصحراء سيناء جنوباً، ويتخللها الجبال والوديان والصحاري ...

❖ مناطق بلاد الشام الشاسعة تؤوي سكاناً يتباينون فيما بينهم تبايناً شاسعاً، ولديهم نزعة محلية قوية للاستقلال، خلافاً للمجتمعات المجاورة في العراق ومصر، فسوريا لم تعرف الوحدة السياسية إلا نادراً، وهذا ما يجعل أهلها يطمحون للاستقلال..

❖ التمزق السياسي في سوريا آنذاك: فقد كانت تحت ولاية الأمير السلجوقي (تتش) - ماعدا الشريط الساحلي، كان في أيدي

(*) باحث يمني.

(١) الموسوعة الميسرة، ط دار الندوة العالمية، (١/٤٠٥).

الفاطميين- ، و(تتش) هذا لقي مصرعه في معركة بفارس خلال صراعه مع أخيه السلطان الأكبر (ملكشاه) على الرئاسة، مما أدى إلى تمزيقها لدويلات صغيرة يحكمها أمراء وقواد سلاجقة، كان أبرزهم: (رضوان ودوقان) ابنا تتش، اللذين كانا يحكمان حلب ودمشق. كما أن الصليبيين دخلوا الدولة الممزقة فزادوها تمزيقاً بإقامة أربع ولايات لاتينية: في أديسا وأنطاكية وطرابلس والقدس.. [١].

❖ الابتعاد عن مقر الخلافة ودولة السلاجقة في بغداد، ومحاولة إيجاد بدائل يمكن الاستفادة منها في حال القضاء عليهم ببلاد فارس ..

لهذه الأسباب وغيرها حرص الحشاشون على التواجد في بلاد الشام، وتوالى دعاتهم عليها، ولم يستطع أي من دعاتهم تأسيس الحركة بشكل مستقل، ولذلك كان تواجدهم السياسي عن طريق تحالفات مع بعض الزعماء السياسيين، مثل: (رضوان بن تتش) حاكم حلب، الذي سلّم لهم عدداً من الحصون والقلاع، استطاعوا من خلالها أن يوجهوا ضربات لأعدائهم.. ومَنْ أعداؤهم؟

الإسلام عدوهم الأول!

لم يكلِّف الحشاشون أنفسَهم مرةً لمحاربة الصليبيين الموجودين في بلاد الشام آنذاك، بل إن عداءهم وحَنَقهم كان مُنْصبًّا على زعماء المسلمين، ويؤكِّد ذلك عدة حوادث تاريخية من أهمها:

- ما حدث في (أفاميا) التي حاول الحشاشون السيطرة عليها، ولكن خطتهم فشلت بسبب هجوم أحد الأمراء الصليبيين عليهم والسيطرة على المنطقة، وإبطال خطة الحشاشين. وبرغم ذلك «الصدام الأول بين الحشاشين والصليبيين وإحباط خطتهم المتقنة على يد أمير صليبي لم يؤدِّ إلى تحويل انتباه الحشاشين من الأهداف الإسلامية إلى الأهداف المسيحية، بل ظلَّ صراعهم الأساسي موجهاً ضد رؤساء الإسلام وليس ضد أعداء الإسلام، وكان غرضهم الأكبر ضرب السلطة السلجوقية أينما ظهرت!!» [٢].

- قَتْل الحشاشين الأمير السلجوقي (مودود) في دمشق، والذي جاء على رأس بعثة عسكرية تهدف إلى محاربة الصليبيين!.

- التعاون الذي جمع بين أحد زعماء الحشاشين ويُدعى (علي بن وفا) والزعيم الصليبي (ريموند) حاكم أنطاكية ضد (نور الدين زنكي) في حملته عليهم!. [٣]

إذن كان وجودهم في سوريا بهدف محاربة زعماء الإسلام من السلاجقة والزنكيين ومن ثَمَّ الأيوبيين كما سيأتي..

شيخ الجبل..

على الرغم من مرور عشرات السنين من تواجد الحشاشين في الشام فإنهم لم يحصلوا على كيان مستقل ومستقر إلا بعد السيطرة على عدد من القلاع والحصون الهامة؛ من أهمها: قلعة بانياس وتقع على الشريط الساحلي قريباً من اللاذقية، وحصن قدموس، وحصن المصياف ، والرصافة.. وهي قلاع في مناطق مختلفة من سوريا[٤]..

وبعد السيطرة على عدد لا بأس به من الحصون والقلاع، وصل إلى قيادة الحشاشين أعظم زعمائهم على الإطلاق، وهو: أبو الحسن سنان بن سليمان بن محمد البصري، المعروف براشد الدين[٥] والمُلقّب بشيخ الجبل، نشأ في البصرة، وتلقى علومه في قلعة ألموت، وكان زميلاً لولي العهد الحسن بن محمد[٦]، والذي أمره بالمسير إلى بلاد الشام عندما صار الأمر إليه[٧].

---

(١) الحشاشون فرقة ثورية في تاريخ الإسلام، لبرنارد لويس، ط مكتبة مدبولي، ص (١٤٥، ١٤٦)..

(٢) المرجع السابق، ص (١٥١).

(٣) المرجع السابق، ص (١٦٠).

(٤) المرجع السابق، ص (١٥٨).

(٥) كما سماه الذهبي في سير أعلام النبلاء، ط الرسالة (٢١/١٨٢). وفي بعض الكتب يسمونه: رشيد الدين، وهو الأشهر.

(٦) المقصود به: الحسن بن محمد بن كيابزرك أميد، ولي عهد حاكم قلعة ألموت آنذاك.

(٧) طائفة الإسماعيلية، للدكتور محمد كامل حسين، ص (١٠٠).

يقول عنه الذهبي: «كبير الإسماعيلية وطاغوتهم.. كان ذا أدب وفضيلة، ونظر في الفلسفة وأيام الناس، وفيه شهامة ودهاء ومكر وغَوْرٌ»[1].. «كان سخطة وبلاء متنسكاً متخشعاً واعظاً، وكان يجلس على صخرة لا يتحرك منه سوى لسانه، فربطهم وغلوا فيه، واعتقد منهم فيه الإلهية، فتباً لهم ولجهلهم، فاستغواهم بسحر وسيمياء، وكانت له كتب كثيرة ومطالعة وطالت أيامه»[2].

ويحكون عنه أنه كان ذا شخصية مخيفة، ويعدّونه أبرز وأعظم شخصياتهم على الإطلاق[3]. وقد قام بالسيطرة على قلاع جديدة مثل: قلعة العليقة، وقام ببناء وتجديد قلاع أخرى.

يقول المؤرخ السوري ابن العديم: «إنه بنى قلاعاً في سوريا للفرقة – أي: لفرقة الحشاشين- وقد كان بعضها جديداً، وبعضها قلاعاً قديمة حصل عليها بالخديعة ثم حصّنها وجعلها منيعة، وغفل عنه الزمان، ولم يهتم الملوك بمهاجمة ممتلكاته خوفاً من الانتقام باغتيالهم، وقد حكم في سوريا ثلاثين عاماً»[4].

ومن أعجب ما جاء به شيخ الجبل أنه عطّل الشريعة الإسلامية، وسنَّ شريعة أخرى تستبيح المحظورات، وتنتهك المحرمات، لكنه سرعان ما تراجع عنها خوفاً من القضاء عليه. وقد ذكر ذلك ابن العديم: «وفي هذه السنة - أي في ٥٧٢هـ- أظهر أهل جبل السماق الفسق والفجور، وتسمَّوا بـ(الصُفاة)[5]، واختلط النساء والرجال في مجالس الشرب، ولا يمتنع أحدهم من أخته ولا بنته، ولبسَ النساءُ ثيابَ الرجال، وأعلن بعضهم بأن سناناً – أي شيخ الجبل- ربه. فسيّر الملك الصالح إليهم عسكر حلب، فهربوا من الجبل وتحصنوا في رؤوس الجبال، فأرسل سنان، وسأل فيهم، وأنكر حالتهم، وكانوا قد نسبوا ذلك إليه، وأنهم فعلوا ذلك بأمره، فأشار سعد الدين بقبول شفاعته فيهم، وعاد العسكر عنهم»[6].

استفاد شيخ الجبل وفرقته من العوامل المساعدة، وجمع حوله الطائفة الإسماعيلية، وصار لهم نفوذ وسلطان، واعترف الناس بإمامته. وقام بالعديد من التحالفات سواء مع الزنكيين أو مع الصليبيين. وكانت محاولتيْ اغتيال صلاح الدين الأيوبي أبرز أعمالهم الإجرامية المؤذِنة بزوالهم. للحديث بقية إن شاء الله..

وقفات مما سبق..

- يشترك أهل الأهواء والفرق الضالة مع أعداء الإسلام برباط وثيق هو: عداوتهم الصريحة والواضحة للمسلمين ومعتقداتهم، وإن قالوا غير ذلك، وما الواقع عنا ببعيد؛ فما جرى للمسلمين في العراق من قِبل الصفويين في السنوات الأخيرة لا يكاد يختلف عمّا أصابهم من الأميركان، بل قد يكون أشد. وما حدث ويحدث هذه الأيام في بلاد الشام، يكاد يكون أفظع وأشد مرارة مما لاقاه المسلمين من ألدِّ أعدائهم: اليهود..
- ليس لنا أن نعجب من تعاون فرقهم المختلفة والمتناحرة على الإسلام والمسلمين؛ كتعاون العلويين مع الإسماعيلية والحشاشين. بل العجب مِن قِدَم تعاونهم مع الصليبيين وأعداء الدين، وإن أظهروا عداوتهم، وادّعوا كرههم. دائماً يكرر لنا التاريخ مواقف تدل على أن ولاءهم لم يكن يوماً لله ورسوله وللمؤمنين.!

(١) سير أعلام النبلاء، للذهبي، ط الرسالة، (١٨٢/٢١).
(٢) تاريخ الأيوبيين (ص٩٧)، نقلاً عن كتاب صلاح الدين الأيوبي، للدكتور الصلابي (ص٤٣٥).
(٣) الموسوعة الميسرة، ط دار الندوة العالمية، (٤٠٥/١).
(٤) زبدة الطلب من تاريخ حلب، لابن العديم، نقلاً عن كتاب برنارد لويس (ص١٦٤).
(٥) ذكر برنارد لويس أنهم سموا أنفسهم بـ (المتطهرين).
(٦) زبدة الحلب في تاريخ حلب، لابن العديم، ط دار الكتب العلمية بيروت، (٣٧٣/١).



اللوبي الإيراني السوري والإدارة الأمريكية هل يتكرر سيناريو العراق في سورية؟

بوزيدي يحيى(*) – خاص بالراصد

تمهيد:

تكمن أهمية دور مراكز التفكير والبحث من ارتباط تلك الهيئات بعلاقات وطيدة مع مؤسسات صنع القرار، فضلا عن أن البعض من السياسيين يعملون في هذه المؤسسات بعد إنهاء مهامهم كخبراء أو العكس، حيث يعمل الباحثون في مراحل ما كمستشارين لصناع القرار في المسائل التي هم متخصصون فيها كما تنشأ علاقات بين الأكاديميين والسياسيين على هامش المؤتمرات والندوات التي تعقدها مراكز الأبحاث.

ونتيجة هذا التداخل الوظيفي تنشأ علاقات تبتعد عن الإطار الأكاديمي وتقترب من العمل السياسي المحض الذي يكتمل بتدخل أصحاب المصالح الاقتصادية بدعم تلك المراكز خدمة لأهدافها أو محاولة لتوجيهها لاتخاذ قرارات تخدم مصالحها، كما أن التوصيات التي تخلص إليها الدراسات تعتبر مصدر إلهام لكثير من كتابات أهم رموز الصحافة والإعلام.

وضمن هذه الخلفية تحدثت العديد من التقارير عن وجود لوبي يخدم المصالح الإيرانية والسورية في الولايات المتحدة يستخدم بعض بنوك الأفكار والاستشارات في محاولة لتوجيه الإدارة الأمريكية لاتخاذ قرارات تخدمها، وذلك بمحاولة إقناعها بأن مصلحتها في تحسين علاقاتها مع إيران وأن لغة العداء في خطابات القادة الإيرانيين ليس هو بالضرورة ما يتم تنفيذه في الواقع، وإنما هو من أجل مخاطبة الشارع الإيراني والإسلامي، فخلْف ذاك الخطاب وتحت تلك العمائم والعباءات هناك الكثير من البراغماتية.

ونظرا للأهمية الجيوسياسية لسوريا بشكل عام وفي ظل الثورة السورية بشكل خاص، فإن مراكز التفكير والأكاديميين والسياسيين يبذلون الكثير من جهودهم لتحليل الأوضاع لاتخاذ القرار المناسب الذي يحافظ على المصالح الأمريكية وإستراتيجيتها في المنطقة والتي يأتي أمن إسرائيل في مقدمتها، وبالمقابل تسعى إيران لتسويق حلول تحفظ مصالحها.

وبعد مضي أكثر من سنة ونصف السنة على بداية الثورة السورية لم يعد خافيا أن الإدارة الأمريكية لم تتيقن بعد من كون الثوار السوريين في مرحلة ما بعد الأسد سوف يحافظون على مصالحها أو يتفاهمون معها عليها، ما يفسر التلكؤ في اتخاذ قرارات حاسمة الأمر الذي بلغ درجة التواطؤ والتآمر ضد الثورة عند بعض الأوساط، مما يطرح فكرة تقسيم سوريا أو مناصب السلطة الجديدة على أسس طائفية وعرقية كبديل.

(*) باحث جزائري.

هذا الأمر أعاد للأذهان مجريات احتلال للعراق والتوافق والتناغم الإيراني الأمريكي الذي توج باعتلاء المعارضة الشيعية التي تربت في أحضان الولي الفقيه سدة الحكم بالعراق، فهل سيتكرر نفس السيناريو العراقي في سوريا كما يرغب به ويخطط له اللوبي الإيراني السوري في الولايات المتحدة؟

اللوبي الإيراني السوري في أمريكا

يحاول الإيرانيون وحلفاؤهم في سوريا الاستثمار في كل ما هو متاح لخدمة مصالحهم بالسعي لإيجاد أصوات تدافع عنهم وتقدم تصورهم للعلاقة مع البيت الأبيض بعيداً عن كل الصخب الإعلامي، وتتمثل أهم تلك المؤسسات في «مجلس العلاقات الإيرانية الأمريكية» الذي أسسه تيريتا بارسي الذي يجمع معظم المتابعين على أن نشاطه قريب من نشاط اللوبيات، إلى جانب بعض المؤسسات مثل مؤسسة «علوي فاونديشن» والمؤسسات المرتبطة بها، فمن خلالها يمكن للحكومة الإيرانية مراقبة الإيرانيين في أميركا والحصول على معلومات عن التكنولوجيا الأميركية وترويج الأفكار الإيرانية بخصوص الشؤون الدولية وتقديم أماكن للتجمع للعبادة للناشطين الموالين لإيران ودفع المال للأكاديميين الأميركيين لكسب المزيد من الأصدقاء لإيران[1].

ويسيطر السفير الإيراني لدى الأمم المتحدة جواد ظريف على معظم قراراتها في نيويورك[2]، وهذا الأخير يعد من أبرز الناشطين في اللوبي ويظهر التنسيق بينه وبين بارسي في ترتيب المؤسسة التي يشرف عليها لقاء لظريف مع بعض أعضاء الكونغرس في واشنطن[3]، كما يقر تيريتا في كتابه (حلف المصالح المشتركة: التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة) أن ظريف سبق له أن ترأس المفاوضات مع الولايات المتحدة حول احتلال العراق وهي المعروفة بقناة جنيف التي أدارت المفاوضات حول احتلال أفغانستان وكان نظيره في الجانب الأمريكي زلماي خليل زاد[4].

كما كانت هناك علاقات بين واشنطن وطهران ضمن قنوات الاتصال المتنوعة، مثل المسار١، والمسار٢ وهما قناتان دبلوماسيتان غير رسميتين غالبا ما تضمنتا علماء أكاديميين، ومسؤولين متقاعدين مدنيين وعسكريين وشخصيات عامة وناشطين اجتماعيين حسب نفس المصدر[5] وآخر نشاط تحدثت عنه وسائل الإعلام للمجلس الوطني الإيراني الأمريكي هو اللقاء الذي جمع مديره تيريتا بارسي بالمستشارة في البيت الأبيض فاليري بومان للضغط على إدارة الرئيس باراك أوباما من أجل تخفيف العقوبات الأممية على إيران[6].

كما يوجد بين الأكاديميين والنخب الكثير من المؤيدين لإيران والذين ينشطون في مراكز أبحاث عريقة ومرتبطة بالإدارة الأمريكية، ومن أبرز الأكاديميين ذوي الأصول الإيرانية المدافعين عن إيران نجد: تيريتا بارسي، وولي نصر، وراي تقية، ونخب أخرى لها مواقف إيجابية من إيران وسوريا يستثمر فيها النظامان في البلدين للترويج لأطروحتهما، من أمثال فريد زكريا، وزبيجينو بريجنسكي، وغاري سيك، والجنرال جون أبي زيد، وغيرهم من الشخصيات المؤثرة والتي لها

(١) علوي فاونديشن حصان طروادة إيراني في قلب أميركا، مجلة الراصد نقلا عن جريدة الوطن العربي (٢٠٠٩/١١/٢٥) على الرابط:
http://alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=4160

(٢) مأمون كيوان، اللوبي الإيراني في الولايات المتحدة الأميركية، العربية نت، ٢٠٠٩/٧/١٨، على الرابط:
http://www.alarabiya.net/views/٥٣٣٠٣/١٨/٠٧/٢٠٠٨.html

(٣) مأمون كيوان، المرجع نفسه.

(٤) تيريتا بارسي، ترجمة أمين أيوبي، حلف المصالح المشتركة التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى ٢٠٠٨، ص ٣٣٥.

(٥) تريتا بارسي، المرجع السابق، ص٢٨٢.

(٦) «پارسي» يُدخل طهران إلى البيت الأبيض، ميدل إيست أونلاين، ٢٠١٢/٠٧/٢٤، على الرابط:
http://middle-east-online.com/?id=135702

سمعتها عند صناع القرار ويمثل الموقف من البرنامج النووي الإيراني أبرز مؤشر على ذلك، ومثل هذه الأصوات موجودة حتى في إسرائيل.

وكنموذج عن اللوبي السوري في واشنطن فقد نشرت مجلة المجلة تقريرا[1] تحدث معده عن نجاح النظام السوري في تشكيل «لوبي» ضاغط وفي العثور على أصوات مساندة له، أو على الأقل معتذرة عنه رغم تواجده المتواضع ولا نستغرب ذلك عندما نجد أن أهم هذه الأصوات هو «معهد بروكينغز» الذي يعتبر من أقدم المراكز في الولايات المتحدة، فقد عقد المركز سنة ٢٠٠٨ جلسة حوارية بعنوان «الانفتاح على سوريا»، بعد المعلومات التي توفرت لاحقا، صار يبدو جليا أن الجلسة تم ترتيبها بعناية تشي بأن «معهد بروكينغز» لم يكن يناقش إمكانية الانفتاح الأميركي على سوريا فحسب، بل كان يدعو إلى هذا الانفتاح ويعمل من أجله.

وأكثر من ذلك فإن من كان ينظم جولات خطابية في واشنطن لسوريين مؤيدين للأسد هو المدير السابق (للوبي الموالي لإسرائيل) اللجنة الأميركية – الإسرائيلية للعلاقات العامة «ايباك». وبعد سنوات، كشفت المعلومات أن الذين شاركوا في ذلك اللقاء تربط بعضهم علاقات بميشيل عون حليف النظام السوري في لبنان وحتى مع النظام نفسه حسبما ظهر في حزمة «إيميلات» الأسد التي تم اختراقها في العام ٢٠١١. وحاولوا دعم النظام بعد اندلاع الثورة. وظهر ضمنها أيضا أن العديد من الإعلاميين الغربيين كانت لهم علاقة بالنظام أو أنه قام باستغلالهم مثل نير روزن الذي أكد على إثرها مراسلته للنظام السوري بعدما نشر عددا من المقالات برهن فيها عن نفسه على أنه أحد أبرز المدافعين عن الأسد في «الإعلام الغربي».

ويخلص التقرير إلى أن واشنطن والعواصم الغربية مليئة بالمثقفين والصحافيين والأكاديميين والعاملين في مراكز الأبحاث والمدونين والناشطين وتتنوع الحالات لتشمل «اللوبي الصريح» أي أولئك ممن ينسقون مباشرة مع مستشاري الأسد، مثل باتريك سيل وانديك ومبيض وروزن، أو من أصحاب المعلومات المغلوطة مثل زكريا، والمغالطات المنطقية مثل أبو خليل.

المصالح الإسرائيلية:

عند طرح موضوع اللوبي الإيراني السوري في الولايات المتحدة يتبادر للذهن مباشرة موضوع المصالح الإسرائيلية ودور اللوبي اليهودي هناك وكيف يستقيم هذا مع الخطاب شبه اليومي في إسرائيل والولايات المتحدة والذي يدعو إلى استهداف إيران عسكريا؟

بكل تأكيد أن قضايا العلاقات الإسرائيلية الإيرانية وقبلها وبعدها العلاقات الأمريكية الإيرانية ومصالح كل طرف في الشرق الأوسط وحساباته تأخذ حيزا كبيرا من النقاشات والدراسات في الأوساط الأكاديمية والسياسية، ولعل أبرز وأخطر تلك القضايا هو البرنامج النووي الإيراني، وبإطلالة سريعة على تلك النقاشات نجد أن هناك العديد من الآراء المتناقضة والمتعددة فهناك مَن يدعو إلى ضربة عسكرية اليوم قبل غد، وهناك مَن يدعو إلى تقبل البرنامج وتحسين العلاقات.

وعندما نعود إلى تاريخ اكتشاف البرنامج النووي الإيراني بأبعاده العسكرية كما يعتقد الكثير من صناع القرار في الغرب الذي مر عليه عقد من الزمن ولم توجه لإيران ضربة عسكرية ما يعني أن الرأي الذي يقول بعكس ذلك هو الأكثر إقناعا وهو من تسير العلاقات بين هذه الأطراف وفق رؤيته وتصوره. بل هناك كثيرون يرون أن العداء الظاهري يخدم الحكومتين ليس إستراتيجيا بل حتى داخليا للتغطية على المشاكل التي تواجه

(١) حسين عبد الحسين، اللوبي السوري في أمريكا.. أي دور في قمع الثورة؟ مجلة المجلة (٢٠١٢/٠٥/٢٥) على الرابط:
http://www.majalla.com/arb/٠٥/٢٠١٢/article٥٥٢٣٥٥٧٠

الحكومتين الإيرانية والإسرائيلية[1].

سوريا والسيناريو العراقي

انطلاقا من أهمية ودور مراكز الفكر والمشورة في التأثير على صانع القرار وتوجيهه، وتحركات اللوبي الإيراني السوري في واشنطن والتطورات التي تشهدها سوريا وما يرافقها من مواقف دولية تعبر عنها المؤتمرات والتصريحات والزيارات بين مختلف الأطراف والمبادرات الدولية فإنه عند ربط كل ذلك بما يتداول لدى النخب والأوساط الفكرية المرتبطة باللوبي فإن كل المعطيات والدلائل ترجح انتهاج الإدارة الأمريكية لنفس الطريق الذي سلكته في العراق فيما يتعلق بالشأن السوري، على أنه ليس المقصود بذلك احتلال سوريا أو أي شيء من هذا القبيل، وإنما المقصود بالسيناريو العراقي في هذه الحالة هو الانطلاق من خلفية إثنية وطائفية في حل الأزمة تنتهي لصفقة تضمن فيها للعلويين نفوذا ومكانة في المرحلة القادمة لا يمنع من أن يكونوا مرتبطين مع إيران التي تملك قدرة التأثير عليهم.

تجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن مقاربة أبرز رموز هذا اللوبي وهما تيريتا بارسي الذي كان مقربا من الرئيس بوش، وولي نصر الذي يعمل مستشارا للمبعوث الخاص للرئيس أوباما لأفغانستان وباكستان. تشمل التالي: في حين يجادل بارسي أن الاعتبارات الجيوسياسية هي التي تحكم العلاقات بين الولايات المتحدة وإسرائيل وإيران دون الاعتبارات الأيديولوجية، وهو لا ينفي عدم وجود صلة تماما بين الأيديولوجيات والصراع على الإطلاق أو أن اعتناقها محل تساؤل، بل على العكس من ذلك، يتمسك في نظره كل من القادة الإسرائيليين والإيرانيين بقوة بأيديولوجيات ووجهات نظر عالمية، ويتعاملون معها على محمل الجد. غير أن القول بأن هذه الأيديولوجيات هي العامل الرئيسي المحدد في العلاقات الإسرائيلية الإيرانية مسألة مختلفة تماما[2].

أما ولي نصر فيجادل بأن أيديولوجيا الملالي لا تعادي الولايات المتحدة الأمريكية كما يعاديها السنة، ويرى أن ما جرى في العراق ليس مجرد تخلص شعب من ظلم ديكتاتور وإنما في قراءة من داخل البنية الشيعية يمثل التخلص من صدام بالنسبة للشيعة خلاصا من الهيمنة السنية والأهم من ذلك أنه يربط الانبعاث أو الانعتاق الشيعي بإيران حيث سيرسم معالم الشرق الأوسط مستقبلا بداية من العراق[3].

والدلائل التي ترجح طرح الرجلين كثيرة، فالواقع أن الحركات الشيعية المدعومة من طرف إيران رغم ما تردده من شعارات (الموت لأمريكا والموت لإسرائيل) إلا أنها لم تستهدف المصالح الأمريكية، وتجربة الحوثيين في اليمن شاهد على ذلك، إذ أن القاعدة استهدفت في أكثر من مرة المصالح الأمريكية وشنت الولايات المتحدة العديد من الغارات الجوية عليها، في حين لم تستهدف الحوثيين ولا مرة، ولا يختلف الأمر كثيراً مع المليشيات الشيعية العراقية.

هذه الحقيقة الممتدة في جغرافية الشرق الأوسط تثبت أطروحة ولي نصر واللوبي الإيراني السوري في الولايات المتحدة الأمريكية، وما يصدر عن واشنطن من تصريحات ضد الأصوليين وانتهاك حقوق الإنسان كهجوم استباقي على الجيش الحر، ومستقبل الأقليات بعد الأسد والتحذير من حرب أهلية، قريبة جدا من الأفكار التي تضمنتها مقالة لولي نصر عن الوضع السوري الأمر الذي يجعل هذا التقدير الخيار المفضل في التعامل مع الأزمة السورية التي لا يبدو أنها بعيدة عمّا

(١) هآرتس: إيران وإسرائيل حلف أبدي، الجزيرة نت، ٢٦/٠٨/ ٢٠١٢، على الرابط:
http://www.aljazeera.net/news/pages/٩١٠٩e٨٤-٤٣٩ff-٤٤٠٧-aeb١٢-٢bfc١٦fd٥f٧?GoogleStatID=٩

(٢) تريتا بارسي، المرجع السابق، ص٩.

(٣) ولي نصر، انبعاث الشيعة، مركز الكاشف للدراسات والمتابعات الإستراتيجية، نسخة إلكترونية، ٢٠٠٧ ص١٥- ٢٢.

يتداول في أروقة صنع القرار الإيراني أيضا.

يقترح نصر في مقالة تحت عنوان «سوريا تتداعى»[1] على الولايات المتحدة وحلفائها أن يسعوا للتعاون مع حلفاء الأسد، وخاصة إيران التي تتمتع بنفوذ كبير على قيادة الأسد أكثر من روسيا، للتوصل إلى اتفاق لاقتسام السلطة لفترة ما بعد الأسد. ومع إقراره بمحاولة استغلال طهران ذلك في المحادثات بشأن البرنامج النووي الإيراني، لكنه ينبه إلى أن تفكك سوريا في ظل سلسلة الأحداث التي توحي بأن مثل هذا الانقسام مقبل لا محالة نتيجة الصراع (السني – العلوي) يفرض تهديدات ضخمة تجاه الشرق الأوسط ومصالح الولايات المتحدة في المنطقة أكثر من البرنامج النووي الإيراني.

وفي نفس الوقت فإن إيران تقف في الوقت الراهن في مأزق، فلا يمكنها التخلي عن الأسد، ولن تتمكن من إنقاذه. حتى أن نقاشات مكثفة تجري بين قادتها طالب البعض فيها بإنهاء دعم إيران الثابت للأسد، ناهيك عن قلق إيران بشأن مصير أكثر من مليون شيعي في سوريا. وبالنسبة للغرب، فإن سقوط الأسد، دون خطة انتقالية، سيكون انتصارا باهظ الثمن، وبداية لمزيد من إراقة الدماء. ولضمان ذلك يقترح بعد أن يتم تطبيق الخطة الانتقالية إلزام القوات الأجنبية بتطبيق وقف إطلاق النار، وحماية الأقليات المهزومة التي دعمت الأسد.

هذا التصور ليس مستبعدا لأن هناك شبه إقرار ضمني من الإدارة الأمريكية بالتمدد الإيراني في المنطقة وأنه لا مانع في ذلك مادام لا يعترض مصالحها ويهددها مباشرة وتحديدا أمن إسرائيل، إذ كان يفترض أن تكون الثورة السورية فرصة لتصفية حسابات تاريخية مع الجمهورية الإسلامية تبدأ من اختطاف الدبلوماسيين ولا تنتهي بالنفوذ الكبير لإيران في العراق الذي انعكس سلبا على النفوذ الأمريكي وعرقل خططها، إلا أن الموقف الأمريكي لا زال متساهلا ومتسامحا مع كل الممارسات الإيرانية في المنطقة وبشكل خاص في سوريا، والتجربة العراقية والمفاوضات التي جرت بين الطرفين لتقاسم النفوذ هناك رغم كل العداء المفترض بينهما حيث كان يصنف المحافظون الجدد إيران ضمن محور الشر تؤكد هذا أكثر.

كما أجرى معهد «أمريكان إنتربرايز» بالتعاون مع «معهد دراسات الحرب» الأمريكي و«مركز سابان الأمريكي لسياسات الشرق الأوسط» التابع لمؤسسة بروكينغز في السابع والعشرين من شهر يونيو/ حزيران الماضي يوم محاكاة للأزمة السورية للوقوف على استشراء الفوضى على خلفية الحرب الأهلية السورية. ما خلصت إليه المحاكاة يخدم نفس التصور حيث تمثل في ما يلي[2]: ❖ لا يعتبر تفاقم الأزمة الإنسانية السورية سببا كافيا لدفع أي من القوى الدولية للتدخل العسكري في سوريا، والولايات المتحدة الأمريكية لا ترغب في تحمل عبء فاتورة التدخل العسكري في سوريا أو إعادة إعمارها. ولا تريد أيضا الاضطلاع بأي إعادة لتجربتي العراق وأفغانستان.

❖ لتركيا دور رئيسي في المعادلة لأنه لا يمكن تطبيق الخيارات المطروحة بدون الانخراط التركي. بيد أن تركيا لا ترغب في تحمل تكاليف ما بعد الحرب السورية وحدها.

❖ يعتبر تأثير المملكة العربية السعودية على الوضع السوري ضعيفا نظرا لاقتصار أجندتها الإقليمية عموما على ردع النفوذ الإيراني، حتى لو كان الثمن زعزعة الاستقرار في سوريا ولبنان والعراق.

---

(١) ولي نصر، سوريا تتداعى، جريدة الشرق الأوسط، العدد ١٢٢٩٩، ٢٠١٢/٠٧/٣١، على الرابط:
http://www.aawsat.com/leader.asp?section=٣&article=٦٨٨٨٤٢&issueno=١٢٢٩٩

(٢) شيماء ميدان، محاكاة أمريكية موقف واشنطن وحلفائها من التدخل العسكري في سوريا، المركز الإقليمي لدراسات الإستراتيجية، ٢٠١٢/٠٨/٣١، على الرابط:
http://rcssmideast.org/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%B4%D8%B7%D8%A9/%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%82%D8%A7%D8%A1%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%AE%D8%A7%D8%B5%D8%A9/%D9%85%D8%AD%D8%A7%D9%83%D8%A7%D8%A9-%D8%A3%D9%85%D8%B1%D9%8A%D9%83%D9%8A%D8%A9.html

❖ السيناريو الكارثي الذي قد يحدث هو انهيار الدولة السورية، وعودة العراق إلى مستويات العنف والحرب الأهلية التي شهدها في عام ٢٠٠٦، وانغماس لبنان في حرب أهلية جديدة.

❖ وأخيرا القرار النهائي بشأن مسألة التدخل العسكري يتوقف على مدى تأزُّم الوضع في سوريا.

لا يستغرب تأسيسا على هذا أن تتجه الولايات المتحدة للتعاون مع إيران في سوريا خاصة إذا نجح أوباما في الفوز بفترة رئاسية ثانية، والعائق الوحيد أمام هذا التصور هو الموقف الإسرائيلي الذي عند تفحصه نجد هذا السيناريو هو الذي يحقق أهدافه فكلما زادت جرائم النظام زادت معها الآثار السلبية على مختلف المستويات، والتقسيم الطائفي والصراعات التي يخلفها سيجعل سوريا تدخل في دوامة مشاكل داخلية، وهذا كله يصب في خدمة إسرائيل التي كل ما كان يشغلها في هذه الفترة مع واشنطن هو موضوع الأسلحة الكيماوية، وتحذير النظام من استعمالها أو تسليمها لحزب الله واصفة ذلك بالخطر الأحمر ما جعل أحد المعارضين السوريين يعلق ساخرا بأن ما دونه من قتل السوريين هو خط أخضر.

التواجد الشيعي في بلاد الألبان

عبد الله الكوسوفي(❖) - خاص بالراصد

تعود أسباب انتشار التشيع في البلقان عامة، وفي بلاد الألبان خاصة، إلى تعدد وسائل المكر الشيعية في نشر مذهبهم والتي تقوم على الالتفاف على الحق وملء الفراغ بالباطل، متترسة بالإمكانات المادية الكبيرة للمؤسسات الشيعية المدعومة من قبل السفارات الإيرانية، ومستغلة بذلك حاجة الناس وجهلهم بدينهم، وهذا هو عين ما يحدث في بلاد الألبان، خصوصا بعد سقوط المعسكر الشيوعي وانفتاح دول المنطقة على العالم، ودخولها تحت وطأة سباق الكيانات الدولية وتجاذبات النفوذات السياسية، حيث كانت إيران من أوائل الدول التي عملت على المنطقة عن طريق سفاراتها والتي تمثل مراكز تصدير للثورة الإيرانية ومنبرا لبث المعتقدات الشيعية.

فمنذ وقت مبكر من عام ١٩٩٠، وبعد انتهاء الحروب اليوغسلافية، حاولت إيران الدخول في منطقة البلقان من خلال إنشاء مؤسسات تعليمية دينية، ومنظمات غير حكومية ومن خلال تشكيل خلايا لجمع المعلومات الاستخبارية.

لكن وبسبب ضغوط منظمة حلف شمال الأطلسي والاتحاد الأوروبي، والجهود التي تبذلها الدول المعنية، انخفض النفوذ الإيراني إلى حد ما، إلا أن «القوة الناعمة» الإيرانية لا تزال تشكل هيكلا، يتصل اتصالا وثيقا بأجهزة الدولة في طهران.

د. اثاناسيوس رداوغوس، أحد قادة جهاز مكافحة الإرهاب اليوناني ومستشار موقع RIMSE(١)، يقول في محاضرة لكليات القوات المسلحة اليونانية وحلف شمال الأطلسي: تنشط السفارة الإيرانية في ألبانيا في العاصمة تيرانا خاصة لتعزيز المصالح التجارية من الشركات المملوكة للدولة الإيرانية وتنمية الروابط الشخصية مع الشخصيات المهمة في ألبانيا. وهي تعمل على تمويل طباعة ونشر العديد من المطبوعات التي تُصدّر للثقافة الإيرانية. وقد أقامت علاقات جيدة مع «الطريقة الصوفية الرفاعية»(٢) في البلاد، وكذلك مع المجمع الديني العلوي(٣). كما أسست جمعية الصداقة الألبانية-الإيرانية من قبل السفير الإيراني السابق في ألبانيا، السيد عليبمان أغابالي والتي تدار من المدعو

(❖) باحث من كوسوفا.

(١) اختصار لما ترجمته: مراقب الإسلام الراديكالي في جنوب شرق أوربا؛ وهو موقع يعنى بتحركات وأنشطة المسلمين في البلقان.

(٢) طريقة صوفية معروفة، تتميز في مناطق الألبان كغيرها من الطرق الصوفية بتأثرها بالطريقة البكتاشية العلوية، لذا فهم يضمرون التشيع وإن أظهروا اتباع الطرق الصوفية.

(٣) المقصود الطائفة البكتاشية، والتي تمثل مزيجا من عقيدة وحدة الوجود، وعبادة المشايخ وتأليههم، وعقيدة الشيعة في الأئمة. وهي تنتشر في وسط وجنوب ألبانيا ومناطق متفرقة من كوسوفا.

بدريبايليكو، حيث اجتذبت الجمعية عضوية شخصيات بارزة في المجتمع العلمي الألباني، مثل ادورت سولستاروفا، واميل لافا، ويورغو بولو، على أن الجمعية تستهدف كبار العلماء، ورجال الأعمال، والسياسيين، على وجه الحصر.

أما في جمهورية مقدونيا اليوغسلافية السابقة؛ فقد حاولت شبكة القوة الناعمة الإيرانية منذ العام ٢٠٠٦ إنشاء كرسي للدراسات الإيرانية في جامعة تيتوفو، وكذلك، التسلل إلى اثنين من الأحزاب الألبانية الرئيسية، ولكن من دون نجاح ظاهر. والجهد الظاهر الوحيد للقوة الناعمة هو دخولها منظمة (صوتنا)[1]»، التي يرأسها محمد يوسف، وهو مواطن من أصل ألباني. وتعمل منظمته على نشر الكتب الدينية والسياسية وتوزيع المنشورات على نطاق صغير من التجمعات العامة.

وفي كوسوفا (والتي لم تعترف إيران باستقلالها ومن غير المرجح أن تفعل ذلك في الأمد القريب) فقد أقامت العديد من المنظمات غير الحكومية، نظرا لصعوبة تواجدها في كوسوفا بسبب المنافسة الشديدة من القوى السنية في المملكة العربية السعودية وتركيا والحضور الكثيف للقوات الدولية، والشرطة والقوات المدنية[2].

أساليب الشيعة في الترويج لمذهبهم

أولاً: الجمعيات الشيعية الوافدة والمحلية

– المركز الثقافي الإيراني «سعدي الشيرازي»[3] في تيرانا:

تم تأسيس المركز الثقافي الإيراني «سعدي الشيرازي» في تيرانا عام ١٩٩٤ كمنظمة غير حكومية، وقد اكتسب المركز وضعه القانوني وفقا للقانون الألباني وقرار المحكمة في جمهورية ألبانيا، بهدف إدخال الثقافة والحضارة الإيرانية والإسلام إلى ألبانيا، وإحياء الروابط الثقافية بين دولتي إيران وألبانيا، وإقامة روابط الصداقة بين البلدين.

أهم أنشطة المركز:

❖ تنظيم المؤتمرات والندوات العلمية والثقافية.

❖ ترجمة ونشر الأعمال الأدبية الهامة في إيران إلى اللغة الألبانية.

❖ إصدار مجلة[4] دورية ثقافية وعلمية وإعداد دراسات حول العلاقات الإيرانية الألبانية الثقافية بين البلدين.

❖التعريف بالشخصيات البارزة والعلماء والأدباء الإيرانيين باللغة الألبانية.

❖ تنظيم الاحتفالات والأنشطة الثقافية.

– معهد «الفردوسي[5]» للدراسات الإيرانية الفارسية في تيرانا

معهد الفردوسي للدراسات الإيرانية الفارسية منظمة غير حكومية وغير ربحية، تعمل في مجال البحث والنشاط العلمي والتي أنشئت بشكل مستقل ودون تأثير الدولة، أو المصالح السياسية والدينية.

والمنظمة تمثل مركزا (بدون عضوية) مسجلة في ألبانيا على أساس قانوني، بدعم من قبل كيانين هما: جامعة مارين بارليتي[6] والمجمع

---

(١) «صوتنا» جمعية ثقافية تهدف إلى المساهمة في خلق وتقديم قيمة حقيقية في التعليم والثقافة، وحماية البيئة، والنهوض بحقوق الإنسان، والترويج للممارسات الديمقراطية والمجتمع المدني. وتقديم التقاليد والثقافة الألبانية والتعاون مع الجمعيات المماثلة في البلاد، والشتات، وكذلك مع الجمعيات الأجنبية أو المنظمات التي لها أهداف أو مشاريع مماثلة.

(٢) دراسة بعنوان «البلقان في متناول القوة الناعمة الإيرانية» نشرت في ٢٠١١/٣/١٦، http://rimse.gr/?p=247

(٣) نسبة إلى الشاعر الإيراني سعدي الشيرازي. ولد سعدي في مدينة شيراز حوالي عام ٥٨٠ هـ. وأخذ أثناء إقامته في بغداد الكثير من الشيخ الصوفي شهاب الدين السهروردي، الحنفي المذهب، وتأثر به، وقد تحدث السعدي عن هذا في كتابه الأدبي الكلستان «الحديقة».

(٤) مجلة «لؤلؤة» العلمية والثقافية هي واحدة من المنشورات الأكثر أهمية للمركز الثقافي «سعدي الشيرازي» التي تصدر بانتظام منذ عام ١٩٩٦ وحتى اليوم، وتقدم لقرائها ٤ أعداد سنويا. يشرف على المجلة مدير المركز الثقافي «سعدي الشيرازي». ورئيس تحريرها: أ. شعبان السناني.

(٥) أبو قاسم الفردوسي شاعر فارسي (٩٣٥ – ١٠٢٠ م). ولد في خراسان في قرية قرب مدينة طوس (في إيران اليوم). عاش في حكم السامانيين في حكم الغزنويين. ويعتبر كذلك من قادة الحركة الشعوبية القائلة بتفضيل الفرس وذم العرب، وقد اشتهر بتأليف كتاب «الشاهنامة» بمعنى ملحمة الملوك وهو كتاب يجمع قصص الفرس.

(٦) نسبة إلى العالم والمؤرخ الألباني مارلين بارليتي، وهي جامعة تأسست سنة ٢٠٠٥، تضم كلية اللغات وكلية الرياضيات وكلية الإدارة

=

الثقافي الإيراني سعدي الشيرازي، وقد أقيم حفل افتتاح المعهد في ٢٩ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠١٠، كأول مركز بحث علمي على المستوى الجامعي في ألبانيا[١].

ويعمل المعهد على إعداد البحوث والدراسات وبالتأكيد ما يدعم التوجه الإيراني وتصدير الثقافة الفارسية، كما هو واضح من مجموع الكتب والبحوث المنشورة على موقع المعهد.

– مؤسسة «الرومي[٢]» في تيرانا

مؤسسة الرومي هي مؤسسة مستقلة تعمل في مجال التعليم والبحث العلمي والدراسات الفلسفية ودراسة الثقافة والحضارة الشرقية وخاصة الإيرانية واللغة والأدب الفارسي، والغنوصية[٣].

أُسست (الرومي) عام ٢٠٠١ كمنظمة غير ربحية وفقا للقانون المدني لجمهورية ألبانيا، من قبل سيد أمير حسين أصغري، والذي يشغل في الوقت نفسه منصب مدير ثانوية «سعدي» في تيرانا.

وقد عملت المؤسسة على العديد من الأنشطة بالتعاون مع مختلف الجامعات والمؤسسات الألبانية، على تحقيق الأهداف التالية:

- تقديم أنشطة مختلفة في مجال التعليم والبحوث.
- تنفيذ الدراسات الفلسفية، والأخلاق، والفلسفة والدراسات الدينية المقارنة النسبية.
- إجراء البحوث في مجال الثقافة والحضارة في الشرق وخاصة الإيرانية.
- تعليم والعمل على انتشار اللغة الفارسية وآدابها.
- تنفيذ البحوث الميدانية في الغنوصية، والدراسات الشرقية، والحوار بين الأديان.

(كان لمؤسسة الرومي فرع في مدينة تتوفا المقدونية لاقى معارضة شديدة من قبل أهل المدينة على اعتبارها مؤسسة شيعية)[٤].

– جمعية «القرآن» في مدينة برزرن

جمعية «القرآن» - كوسوفا هي منظمة غير حكومية، تهدف إلى زيادة وعي وإدراك الناس حول أهمية القرآن الكريم في حياتهم.

تسترشد الجمعية بتوجيهات إدارة جامعة «المصطفى» الإيرانية العالمية[٥]، التي يوجد مقرها في مدينة قم. ولذا فهي تقوم بإرسال الطلاب الألبان

والمالية وقد أضيف لها بعد عام كلية العلوم الإنسانية.

(١) موقع معهد الدراسات الإيرانية الفارسية في تيرانا http://firdeusi.umb.edu.al/index.php?page=about-institute

(٢) نسبة إلى جلال الدين الرومي وهو محمد بن محمد بن حسين بهاء الدين البلخي؛ (١٢٠٧- ١٢٧٣) المعروف بمولانا جلال الدين الرومي. هو أديب ومنظِّر وقانوني صوفي. عرف بالرومي لأنه قضى معظم حياته لدى سلاجقة الروم في تركيا الحالية. وما كاد يبلغ الثالثة من عمره حتى انتقل مع أبيه إلى بغداد سنة ١٢١٠م على إثر خلاف بين أبيه والوالي «محمد قطب الدين خوارزم شاه».
وفي بغداد نزل أبوه في المدرسة المستنصرية، ولكنه لم يستقر بها طويلاً؛ إذ قام برحلة واسعة زار خلالها دمشق ومكة و"ملسطية" و"أرزبخان" و"لارند"، ثم استقر آخر الأمر في قونية في عام ٦٣٢هـ/ ١٢٢٦م حيث وجد الحماية والرعاية في كنف الأمير السلجوقي «علاء الدين قيقباذ»، واختير للتدريس في أربع مدارس بـ «قونية» حتى توفي سنة ٦٢٨هـ/ ١٢٣١م، فخلفه ابنه «جلال الدين» في التدريس بتلك المدارس. وحين وفاته في عام ١٢٧٣م، دفن في قونية وأصبح مدفنه مزارا إلى يومنا. وبعد مماته، قام أتباعه وابنه سلطان ولد بتأسيس الطريقة المولوية الصوفية والتي اشتهرت بدراويشها ورقصتهم الروحية الدائرية (المولوية) التي عرفت بالسماع والرقصة المميزة.
كانت ولادته ولغته الأم تدلان على أصول وثقافة أساسية فارسية. وكتبت كل أعماله باللغة الفارسية الجديدة والتي تطورت بعهد النهضة الفارسية في مناطق سيستان وخراسان وبلاد ما وراء النهر والتي حلت مكان اللغة الفارسية القديمة في القرن الحادي عشر الميلادي. وتمت ترجمة أعماله إلى لغات عديدة منها: التركية واللغات الغربية. وكان تأثيره كبيرا على ثقافة الفرس وثقافات الأوردو والبنغالية والتركية.

(٣) الغنوصية كلمة يونانية تعني «المعرفة»، اصطلح الدارسون على استخدامها لوصف عدد من الحركات الدينية في فترة سيطرة الإمبراطورية الرومانية، كثيرٌ منها لا صلة له على الإطلاق بالمسيحية. وهي تيار ومذهب فكري مُعقّد ذو فلسفات باطنية.

(٤) من دراسة مطبوعة بعنوان: (الحياة الدينية في مدينة تتوفا وما حولها)، للباحث الأستاذ ريحان نزيري.

(٥) جامعة المصطفى العالمية كما تعرف نفسها: مؤسسة علمية ذات طابع حوزوي تعمل على المستوى الدولي، من خلال أداء المناهج الدراسية والتربوية والتحقيقية والثقافية والإعلامية. بدأت الجامعة نشاطها رسميا في عام ٢٠٠٨ وذلك بعد أن تأسست من دمج المؤسستين الحوزويتين المسؤولتين عن تدريس الطلبة الأجانب وهما: «مؤسسة الحوزات والمدارس الدينية خارج البلاد» و«المركز العالمي للعلوم الإسلامية».. انظر موقع الجامعة على:
http://ar.miu.ac.ir/index.aspx?siteid=5

ممن يرغبون بالتعليم الديني للدراسة في إيران (لذا فهي تستهدف فئة الألبان الذين يحتاجون إلى المساعدات المالية)، كما أن الجمعية تعمل على نشر المطبوعات الدينية الشيعية. يدير الجمعية المدعو محمد باقر صالحي، وهو شقيق دبلوماسي إيراني رفيع المستوى. وتعتزم الجمعية إنشاء متحف للثقافة الإيرانية، وكذلك، الحصول على كرسي للدراسات الإيرانية في جامعة محلية.

جمعية «نساء» في العاصمة برشتينا

من أبرز الجمعيات الشيعة في كوسوفا «جمعية نساء» والمعروفة بجمعية القرآن، وهي جمعية نسوية خيرية أسست في عام ٢٠٠٠ م أي بعد الحرب مباشرة وقد سميت هذه الجمعية أولا بجمعية الكوثر «KEVSER» ثم ما لبثت أن تغير اسمها إلى جمعية «نساء» والمستوحى من اسم سورة النساء.

تعمل الجمعية على تربية وتثقيف جيل النساء الجديد وفقا لروح الإسلام، وحماية ورعاية ودعم المرأة، لا سيما الأرامل والأيتام، ومساعدتهن ماديا ومعنويا.

وتسعى الجمعية إلى تنفيذ هذه المهمة من خلال إقامة دورات القرآن الكريم، والرياضيات، ودورات اللغة الإنجليزية، والعربية، والفارسية، والحلقات الدراسية، وعقد الاجتماعات لمختلف الحالات والظواهر في المجتمع.

تصدر الجمعية مجلة «VLERA» الشهرية والتي تهدف إلى إظهار القيم التربوية والأخلاقية والأدبية والتقليدية في المجتمع، وقبل كل شيء القيم الدينية. في جميع مجالات الحياة المعاصرة في محاولة لتقديم الإسلام، ليس بوصفه عقيدة دينية وحسب ولكن بتقديمه كنظام حياة. وتطمح الجمعية إلى تحقيق هذا الوعي من طريق معرفة شخصية فاطمة الزهراء وفكر أهل البيت والأئمة كما صرحت مؤسستها والتي قامت بزيارات متكررة إلى إيران[1].

ثانياً: المطبوعات

يعمل الشيعة في بلاد الألبان بهدوء حذر وذلك عن طريق التدرج في بث معتقداتهم إذ أنهم لا يميلون للمواجهة في هذه المرحلة لقلة أتباعهم وضعف مستواهم العلمي، الأمر الذي حملهم على التوجه إلى التركيز على نشر المطبوعات بهدف إغراق المكتبات بالفكر الشيعي دون التركيز على مسائل الخلاف المشهورة، وفيما يلي جدول لما وقفتُ عليه من المطبوعات الشيعية باللغة الألبانية:

ت	اسم الكتاب	المؤلف	تاريخ ومكان الطباعة
١	الله وصفاته	السيد مجتبى الموسوي	برزرن ٢٠٠٥
٢	خاتم الأنبياء ورسالته	السيد مجتبى الموسوي	برزرن ٢٠٠٦
٣	موسم الأزهار		
٤	إشعاع من القرآن	غلام علي حداد عادل	برزرن ٢٠٠٩
٥	نهضة الإنسان	السيد مجتبى الموسوي	
٦	أهمية القرآن للمسلم	محمد حسين الطبطبائي	
٧	مبادئ تنشئة الأطفال	آية الله إبراهيم أميني	برزرن ٢٠٠٧
٨	مبادئ الفلسفة	الإمام الطبطبائي الشهيد محمد المطهري	
٩	الإنسان الكامل	مرتضى مطهري	برزرن ٢٠٠٥
١٠	دروس في التربية	الأستاذ شيخ أكبر عيدي	برزرن ٢٠٠٧
١١	أزهار القرنفل		
١٢	رسالة حضرة علي إلى ابنه الحسن		
١٣	ثقافة إنقاذ البشرية	محمد تقي جعفري	
١٤	تحف العقول عن آل الرسول	ابن شعبة الحراني	برزرن ٢٠٠٦
١٥	٣٠٣ أقوال للإمام علي	الحافظ علي كورتشي	تيرانا ٢٠٠٣
١٦	أشعار الصوفية		جاكوفا ٢٠٠٦
١٧	اجتماع المتحابين	الإمام الخميني	
١٨	حكايات روحية	مرتضى مطهيري	
١٩	سيف في حديقة الأزهار	عبد العزيز إسلامي	تتوفا ١٩٩٣
٢٠	في داخلي نور	روح الله الخميني	
٢١	توضيح الفلسفة الإسلامية	محمد مصطفى	
٢٢	علم الحديث أصله وتطوره التاريخي	مصطفى أولياء	
٢٣	الإمامة والخلافة	مرتضى مطهري	
٢٤	معضلة الإنسان الحديث	محمد باقر الصدر	
٢٥	وجي بهارايا الإنسان الشاعر العالم		تيرانا ١٩٩٥
٢٦	الأمنيات		تيرانا ١٩٩٦
٢٧	ورود الانطباعات		تيرانا ١٩٩٧

---

(١) لقاء مع مؤسسة الجمعية الأستاذة إقبالة هيدوتي، http://albanian.irib.ir/radioislam/artikuj/item/78192-znjikballe-berisha-huduti-vizita-në-iran-dhe-pjesmarrja-në-festivalin-e-parë-ndërkombëtar-për-femrat-myslimane

=

	الفارسية		
٢٨	الطيران على البساط الفارسي		١٩٩٧
٢٩	الديانة الإيرانية والمتأثرين بالإيرانيين من الألبان		١٩٩٨
٣٠	كتاب الشاهنامة	أبو القاسم الفردوسي	٢٠٠١
٣١	جلال الدين الرومي وهمسه للنجوم		٢٠٠٢
٣٢	العالم الإيراني في كتابات سامي فراشر		٢٠٠٤
٣٣	المذنب في الشعر الفارسي		٢٠٠٤
٣٤	شعر حافظ الشيرازي		٢٠٠٥
٣٥	الأمنيات بلغتين		٢٠٠٥
٣٦	كربلاء		٢٠٠٥
٣٧	آثار الماء		٢٠٠٦
٣٨	كتاب الأدب: الكلستان أو الحديقة، والبوستان أو البستان	سعدي الشيرازي	٢٠٠٧
٣٩	ماء الحياة	روح الله الموسوي الخميني	٢٠٠٧
٤٠	بياض الصوت الأسود	طاهرش سفرزادة	
٤١	فردوس الألبان وفاتشي بهاريا	ألفية شاه ناميس	٢٠١٠
٤٢	دراسة عن إيران في ألبانيا	الأستاذ الدكتور شعبان سيناني	٢٠١٠
٤٣	جوهر الجوهر	سيد محمد حسين الطبطبائي	تيرانا ٢٠١١
٤٤	قصص حول الأنبياء	كمال السيد	٢٠٠٧
٤٥	الرؤية الإسلامية	وليم سي جتك	تيرانا ٢٠٠٨
٤٦	ديوان مثنوي معنوي	جلال الدين الرومي	٢٠٠٧
٤٧	Khomreh	هوشانغ مرادي كرماني	تيرانا ٢٠٠٧
٤٨	ما هو الإسلام	السيد الشيرازي	٢٠٠٦
٤٩	أقوال مأثورة	الإمام الخميني	تيرانا ٢٠٠٧
٥٠	القرآن والإمام الحسين	محسن قرائتي	تيرانا ٢٠٠٧
٥١	أخلاق الإسلام		
٥٢	الإمام الحسين وموقعة عاشوراء	محمد دلافير	تيرانا ٢٠٠٩
٥٣	الإمام المهدي	محمد باقر الصدر	٢٠٠٨
٥٤	التفسير الكامل للقرآن	ناصر مكارم الشيرازي	تيرانا ٢٠١١
٥٥	الحجاب سعادة وليس مصيبة	سيد محمد إبراهيم القزويني	تيرانا ٢٠٠٥
٥٦	في النظام الإسلامي	سيد محمد الشيرازي	٢٠٠٠
٥٧	اقتباسات من نهج البلاغة	الإمام علي	٢٠٠٠
٥٨	الفقه في المذاهب الخمسة	محمد جواد مغنية	تيرانا ٢٠٠٧
٥٩	قصص رجال صادقين	الشهيد مرتضى مطهري	تيرانا ٢٠٠٧

ثالثاً: المواقع الالكترونية

عمل الشيعة في بلاد الألبان على نشر مذهبهم من خلال الشبكة العنكبوتية بإنشاء العديد من المواقع الشيعية وباللغة المحلية للوصول إلى أكبر عدد ممكن من المستهدفين، والعمل على الترغيب بهذه المواقع عن طريق تنزيل المسلسلات المدبلجة والأناشيد التي تخدم عقيدتهم ومذهبهم.

وفيما يلي جدول بأهم المواقع الشيعية باللغة المحلية:

ت	اسم الموقع
١	تلفزيون الشيعة
٢	ألب شيعة
٣	ألب شيعة يوتيوب
٤	قرآن- كوسوفا
٥	ايران ألبانيا راديو
٦	الشمس
٧	جلال الدين الرومي
٨	نور أهل البيت

رابعاً: التعليم الخاص

تكمن خطورة التعليم الخاص فيما يمكن أن تغرسه هذه المدارس من القيم في قلوب الطلبة، وهو الأمر الذي تتضاعف خطورته مع دولة كإيران وطائفة كالشيعة، وكونه يستغل حاجة الناس وأبنائهم المادية والدينية.

– ثانوية «سعدي[1]» الإيرانية الألبانية في تيرانا

بدأت ثانوية «سعدي» نشاطها التعليمي في العام الدراسي ٢٠٠١ - ٢٠٠٢. ويستند التدريس في هذه الثانوية إلى الأحكام والقواعد المعتمدة من قبل وزارة التعليم والعلوم لجمهورية ألبانيا.

وتهدف ثانوية «سعدي» كمدرسة للبنات إلى:

- تمكين الطالبات من التميز مع أقرانهن.
- تطوير مهارات الطالبات التنظيمية، وتشجيع مشاركتهن في الأنشطة المختلفة.
- تحسين احترام الذات والاستقلال.
- تشجيع الطالبات على النجاح فيما يوكل لهن من مهام، وتعزيز ثقة الطالبات لوضع أفكارهن في الحياة.
- حمل الطالبات على مزيد من التقدير واتخاذ

(١) نسبة إلى الشاعر الإيراني سعدي الشيرازي، وقد تقدم التعريف به.

موقف أكثر إيجابية تجاه المدرسة والتعليم دون مشاكل تربوية.

وينتسب إلى الثانوية طالبات من مناطق مختلفة من ألبانيا وكذلك من كوسوفا ومقدونيا.

خطورة التواجد الشيعي في بلاد الألبان

يفرض التواجد الشيعي في بلاد الألبان عددا من التحديات يتمثل أهمها بعد الحفاظ على العقيدة الإسلامية والمذهب الحنفي، في الحفاظ على الوحدة الوطنية؛ وهذا ما قد يجهله الكثير من السياسيين الألبان عن حقيقة التشيع، ولتقريب خطورة التشيع من فكر الساسة نقول: إن التشيع من أعظم تحديات الحفاظ على النسيج الوطني، وذلك لخصوصية الدعوة الشيعية القائمة على تكريس الطائفية؛ والطائفية: ثقافة دينية تقتات على تمزيق الأمم وتنمو على عصارة الوحدة الوطنية، وحقيقتها عند الشيعة ازدراء جميع المسلمين ممن لا يحملون فكرهم، فبدعوى الانتصار لأهل البيت المظلومين يجمع الشيعة أتباعهم على كره أهل السنة، وبدعوى المطالبة بالحقوق يستبيحون العباد والبلاد، ولعل من يجهل تاريخهم لا يعجزه أن يشاهد ما آل اليه حال العراق ولبنان، وما حال البحرين عنا ببعيد.

ولخصوصية بلاد الألبان يتضاعف خطر انتشارهم، فهي منطقة صراع حضارات وتدافع عرقيات، لم تعرف المعمورة تركيبة سكانية متباينة الأصول الإثنية والانتماءات الدينية عانت من ويلات الطائفية في العصر الحديث كالتي يقطنها الألبان. لذا ينبغي مضاعفة الحذر تجاههم فإن نجاح دعوتهم في هذه البلاد يعني دون شك دخول البلاد في توترات وصراعات داخلية غاية في الخطورة.

إن الانفتاح الذي عرفت به المنطقة بعد سقوط الشيوعية وما تبنته دول الألبان من مبادئ ديمقراطية جعل الجهات المسؤولة لا تبدي ممانعة أمام دخول المؤسسات الشيعية للبلاد، حيث أصدرت تراخيص لعدد من الجمعيات الشيعية الوافدة (آنفة الذكر) تأسياً بمثيلاتها من جمعيات الفرق والديانات الأخرى.

وتميزت الجمعيات الشيعية عن غيرها بأنها ولدت من رحم السفارة الإيرانية، والتي استغلت العلاقات الطيبة فتوسع دور ملحقيتها الثقافية حتى عاد لا ينحصر في النشاطات الثقافية المتعارف عليها دبلوماسيا، بل تعداه إلى رعاية عملية التشيع وتصدير الطائفية، لذا كان من المتعين على من يدرك ذلك من أهل العلم أن لا يبخل بنصح أصحاب القرار في اتخاذ خطوات أكثر صرامة تجاه هذا المشروع الإيراني الخطير، ولعل بداية الخطر الشيعي قد بدأت بمحاولة تضخيم أعداد أتباع مذهبهم في دول الألبان.

المبالغة في عدد الشيعة في دول الألبان:

تحت فكرة (تصدير الثورة) والعمل بمبدأ (ولاية الفقيه) يحاول الشيعة في جميع أنحاء العالم العبث في نسب الشيعة، بقصد تمكين أتباع المذهب من تولي المناصب خدمة للمشروع الإيراني، ومن بين هذه الدول التي يخطط التشيع العبث بها: دول الألبان.

وعلى الرغم من أن عدد الشيعة الإثني عشرية في دول الألبان قليل جداً لا يكاد يذكر وأن الشيعة يعملون بمبدأ التقية - والذي من خلاله لا يعلن الشيعي عن نفسه اتقاءً لمن حوله - إلا أنهم وخلال هذه المرحلة التي أعقبت الأحداث العالمية التي حجمت من نشاط السنة وما منحه احتلال العراق من قوة لإيران، يحاول الشيعة المزايدة على عدد أتباع مذهبهم كمحاولة للوقوف في وجه الإسلام السني في المنطقة، فقد نقل موقع وكالة الأنباء القرآنية العالمية الشيعي «IQNA» عن تحقيق من المدعو الشيخ صالح الكرباسي، قوله: إن بعض الإحصائيات القديمة تذكر بأن نسبة الشيعة إلى المسلمين في العالم هو الربع أي ٣٩٤ مليون، وذلك حسب إحصائيات عام ٢٠٠٠ م. ولقد تطرق صاحب دائرة المعارف الحسينية إلى عدد الشيعة وذكر بعض الإحصاءات القديمة المتوفرة نوردها كالتالي (أُورد منها ما يخص الدراسة):

ألبانيا، عدد النفوس: ٤,٤٠١,١٢٦، نسبة الشيعة الإمامية: ٢٥٪.

كوسوفو، عدد النفوس: ٢,٠١٠,٩٢٠، نسبة الشيعة الإمامية: ١٠٪.

مقدونيا، عدد النفوس: ٢,٢٣٥,٠٤٤، نسبة الشيعة الإمامية: ١٠٪[1].

أي أن نسبة الشيعة من عموم الألبان في دولهم هي ١٧,٦ ٪ وهذا رقم مبالغ فيه إلى حد كبير، فحتى مع إدخال كل الطوائف الصوفية والبكتاشية فإن النسبة لا تصل إلى هذا الحد.

وأعجب من ذلك ما ذكره مركز الأبحاث العقائدية الشيعي من أن نسبة الشيعة الألبان تصل إلى ٧٠٪ من المسلمين الألبان، حيث أورد مركز الأبحاث ما نصه: (لقد انتشر التشيع في تلك البلاد كانتشار النار في الهشيم. حيث يشكل الشيعة اليوم ٧٠٪ من عدد المسلمين في كل من ألبانيا، وكوسوفو، ومقدونيا، وجمهورية الجبل الأسود، وجنوب اليونان وجنوب بلغاريا (كل تلك المناطق اقتطعت من ألبانيا أبان الحرب العالمية الأولى) فضلاً عن الستة ملايين ألباني مسلم في تركيا.

أما الألبان في إيطاليا وعددهم يناهز الستة ملايين أيضاً فان غالبيتهم من المسيحيين. كما أن هناك حوالي ثلاثة ملايين ألباني غالبيتهم من المسلمين يقطنون باقي الدول الأوروبية وفي الأمريكيتين.

أما بالنسبة لعقائدهم، فالقاطنون في منطقة البلقان يشكل المسلمون منهم ٧٥٪ والمسيحيون ٢٥٪، ويشكل الشيعة ٧٠٪ من المسلمين والسنة يشكلون ٣٠٪ منهم. أما المسيحيون فهم من الكاثوليك ومن الروم الأرثوذوكس)[2].

وتبني فكرة المزايدة على اتباع المذهب كون التشيع مذهبا سياسيا معارضا بل معاديا لتولي أهل السنة الحكم مهما كانت درجة انتمائهم او التزامهم، إلا أن الشيعة يحاولون في هذه المرحلة أن لا يكون لهم تجمعات سياسية شيعية ظاهرة أو قانونية في دول الألبان، ولكن وكما جرت عادتهم ما أن يشتد عودهم ويزداد عدد أتباعهم حتى يدخلوا في مضمار السياسة بدعوى تحقيق المواطنة الكاملة والاعتراف بحقوقهم المسلوبة، كالذي يجري الآن في البحرين والمملكة العربية السعودية، ولعل محاول الشيعة في كوسوفا تأسيس مشيخة خاصة بهم بالضغط على الإدراة المدنية للأمم المتحدة قبل استقلال كوسوفا خير دليل على وجود الفكرة، إلا أن طلبهم هذا جوبه بالرفض بفضل الله تعالى، ثم بموقف المفتي، فقد كان لموقف المشيخة الإسلامية في كوسوفا وعلى رأسها الشيخ نعيم ترنافا الأثر الكبير في تحجيمهم ورد كيدهم والذي رفض أن يكون لهم حتى مكتب في أروقة المشيخة الإسلامية.

والسؤال الذي يطرح نفسه؛ ماذا لو أنشأ الشيعة أو البكتاشية الألبان أحزابا وقوى سياسية بدعم شيعي إيراني؟ ونحن بهذا التساؤل لا نسقط حقهم في أن يكون لهم منبر يخدمون من خلاله مصالحهم، ولكن بهذا التساؤل نرفض أن يتحول أبناء الأمة الألبانية من بكتاشية وغيرهم الى أداة خارجية تتحرك لخدمة مصالح الطائفة على حساب الأمة تحت ذرائع وشعارات زائفة.

الإخوان والشيعة.. تساؤلات تبحث عن الإجابة

أسامة الهتيمي(*) – خاص بالراصد

من بين السمات التي ربما تميز جماعة الإخوان المسلمين عن غيرها من الحركات الإسلامية هي أن الكثير من مواقف الجماعة السياسية والفكرية مما يثير الدهشة والتعجب إذ لا يمكن للمراقب أو الراصد للأحداث أن يؤكد بما لا يدع مجالا للشك موقفا محددا للجماعة إزاء قضية بعينها وهو المنهج الذي كانت عليه الجماعة وما زالت منذ تأسيسها في عشرينيات القرن الميلادي الماضي وحتى اللحظة.

(١) انظر الخبر على موقع الوكالة على الرابط:
http://iqna.ir/ar/news_detail.php?ProdID=587143

(٢) النص الكامل على موقع مركز الأبحاث العقائدية الشيعي:
http://www.aqaed.info/shia/world/albania

(*) كاتب وباحث مصري.

وبقدر ما استفادت جماعة الإخوان المسلمين من هذا المنهج البراجماتي عبر تاريخها الممتد لنحو ٨٤ عاما تقريبا إلا أنه كان سببا رئيسيا أيضا وراء خسارتها على المستوى السياسي والفكري، ومن ذلك مثلا هذا الجدل الشديد الذي أعقب ثورة الخامس والعشرين من يناير خاصة بعدما تمكنت الجماعة من أن تحقق مكاسب كبيرة في الانتخابات البرلمانية التي أجريت منذ عدة شهور إذ أثار ذلك الفوز حنقَ الكثيرين من معارضي الجماعة ومنتقديها حتى أنهم وصفوا الجماعة بالانتهازية، واتهموها بأنها ركبت الثورة لتحصد ثمارها دون أن تكون إحدى المكونات الرئيسية للثورة ودون أن تخسر من أجل اندلاعها ونجاحها.

واستند هؤلاء في دعواهم للتصريحات التي أدلى بها بعض قادة الجماعة نفسها وذلك قبيل يوم الخامس والعشرين من يناير/ كانون الثاني ٢٠١١م والتي أكدوا خلالها أن الجماعة بالفعل لم تعطِ أوامرها وتعليماتها لأعضائها بالنزول للشارع للمشاركة في مظاهرات يناير وهي التصريحات التي لم تكن تعكس الحقيقة على وجهها الصحيح حيث كانت هناك بالفعل تعليمات بالنزول وإن كانت لأعداد محدودة من عناصر وكوادر الإخوان غير أن الدافع الرئيس وراء إنكار قادة الإخوان لذلك هو الخشية أن تكون الجماعة وعناصرها هما الضحية الأولى لبطش نظام حسني مبارك في حال فشلت هذه التظاهرات ولم تحقق الهدف منها.

وبالطبع وضع هذا الموقف المتناقض بين تصريحات القادة ونزول الأعضاء الجماعةَ في حرج شديد عند حديث قادتها بعد نجاح الثورة عن مشاركة الجماعة في الفاعليات الأولى للثورة للرد على منتقديها إذ بدا واضحا وجليّا أن الجماعة تلعب على الحبلين وأنها بعيدة تماما عن المبدئية التي يفترض أن تتسم بها باعتبارها أولا وأخيرا جماعة تلتزم بالقيم الإسلامية وتدعو لها.

ويأتي إعلان جماعة الإخوان عن عدم تقديم مرشح لها لرئاسة الجمهورية نموذجا آخر يدلل على انتهاج منهج المواقف الغامضة والمثيرة للدهشة ففور نجاح ثورة يناير سارعت الجماعة ودون أدنى مبرر سياسي إلى الإعلان عن عدم رغبتها في أن تخوض أو يخوض أي من الإسلاميين معركة التنافس على رئاسة الجمهورية وأن ذلك يهدف بالأساس إلى إرسال رسائل تطمينية للخارج الذي يتخوف من وصول الإسلاميين لحكم البلدان العربية ومن ثم تزايد احتمالات الإخلال بالمعاهدات والمواثيق التي أبرمها الغرب مع أنظمة هذه البلدان.

وعلى الرغم من أن للإخوان ولغيرهم الحق في خوض هذه المعركة الانتخابية إلا أن أغلب الأطراف السياسية غير الإسلامية في مصر رحبت بإعلان الإخوان إدراكا منها بأن الشارع المصري تفاعل مع الإسلاميين، وأن غيرهم ليست له شعبية حقيقة تؤهله للوصول لسدة الحكم لكن الإخوان سارعوا أيضا وبلا مبررات سياسية قوية إلى التراجع عن موقفهم، والإعلان عن ترشح المهندس خيرت الشاطر الذي تم رفض ترشحه لتعلن الجماعة عن ترشيح رئيس حزب الحرية والعدالة آنذاك الدكتور محمد مرسي.

وبعيدا عن الاتفاق أو الاختلاف على ترشح قيادي إخواني لموقع الرئاسة فإن الشاهد في استعراض ما سبق هو الإشارة إلى أن آليات وفلسفة إصدار القرارات داخل الجماعة يحيط بها الكثير من الغموض وعدم الشفافية ومن ثم فهو أيضا المنهج الذي يمكن أن نستظل به في فهم علاقة الإخوان المسلمين بالشيعة في مصر فضلا عن الدولة الإيرانية الشيعية.

إن من الظلم البيّن الاعتقاد بأن موقف الإخوان من الشيعة موقف موحد وإن بدا هذا التوحد في شأن قادة الجماعة لكن الحقيقة التي يدركها المخالطون لأعضاء وكوادر الجماعة في مناطق مختلفة أن العديد من هذه العناصر ربما يتخذون مواقف مختلفة عن قادتهم وإن رضخوا لما يعلنه القادة خلال تصريحاتهم ولقاءاتهم من باب

التزام مبدأي السمع والطاعة، وأن القادة في نظرهم أدرى وأوعى بما يخدم مصلحة الدعوة والإسلام لكن هذا لا يمنع بعضهم من رفض الكثير من الممارسات الشيعية سواء على المستوى السياسي أو الديني وفي ذلك أكبر دليل على أن القرار الفوقي ربما لا يكون معبرا حقيقيا عن تطلعات وطموحات القاعدة العريضة للجماعة.

وفي ضوء ذلك فإن التعقيب الأساسي - الذي سندلي به في هذا المقال - على موقف الإخوان من الشيعة يستهدف بالدرجة الأولى قادة الإخوان الذين هم أصحاب القرار وليس غيرهم، وهو القرار الذي من البديهي أن ينبع من منطلق مصلحة الجماعة ومن قبلها مصلحة الدعوة الإسلامية التي تأسست الجماعة بهدف القيام بأعبائها ومن ثم فإنه يجدر بنا وعلى عكس ما يجب أن يكون من ضرورة استعراض موقف الإخوان المسلمين في مصر من الشيعة والدولة الإيرانية أن نحاول استعراض موقف الشيعة المصريين من الإخوان المصريين أولا وهو الموقف الذي لا يقل بأي حال من الأحوال غرابة وإثارة للدهشة عن موقف الإخوان من الشيعة.

ومن بين التصريحات التي تكشف عن حقيقة ما يكنّه الشيعة للإخوان المسلمين - الذين هم طرف سني بغض النظر عما يمكن أن يؤخذ عليهم من ملاحظات – ما صرح به مرارا الدكتور أحمد راسم النفيس وكيل مؤسسي حزب التحرير الشيعي، فمنذ أسابيع قريبة أعلن النفيس عن أنه وجماعته سيشاركون في تظاهرات الرابع والعشرين من أغسطس/ آب الماضي بكل قوة لإسقاط الرئيس محمد مرسي وحكم جماعة الإخوان المسلمين.

وأرجع النفيس سبب المشاركة في التظاهرات - التي دعا لها النائب العلماني محمد أبو حامد - إلى ما اعتبرها سياسة الإخوان التي فاقت الحدود لتكميم أفواه الإعلاميين وتقييد حرية الصحافة بالإضافة للتصدي لمخطط الهيمنة الإخوانية على مؤسسات الدولة وعلى رأسها الصحافة القومية التي اتبعت نفس أسلوب تمجيد الرئيس مثلما كان يحدث مع الرئيس السابق – وفق قوله - .. مشددا على ضرورة إسقاط حكم الإخوان قبل تنفيذ مخططهم الذي صرح به مهدي عاكف، المرشد السابق للجماعة، بأنه لا بد أولاً للجماعة أن تسيطر على كل مؤسسات الدولة حتى نقول إن الحكم في مصر تحول بشكل كامل لصالح الإخوان.

وتتطابق هذه التصريحات مع ما ذهب إليه النفيس في تصريحات سابقة خلال الانتخابات الرئاسية التي أجريت منذ ثلاثة أشهر تقريبا إذ أكد النفيس فيها أنه يرفض وصول المرشح الإخواني للرئاسة محمد مرسي لرئاسة مصر مؤكداً أن مصر الآن بين خيارين إما خيار الميليشيا أو خيار الدولة مشيراً إلى أن أهم الأولويات لديه أن لا يفوز مرسي بمنصب الرئيس.

وبالطبع ليس من شك في أن تصريحات النفيس تثير الكثير من علامات الاستفهام لدى الإخوان وغير الإخوان، فالنفيس قبل أن يتشيع ويصبح من قادة الشيعة في مصر كان عضوا في جماعة الإخوان المسلمين وبالتالي فمن المؤكد أن الرجل يدرك جيدا ويعي بدرجة ليست بالقليلة طبيعة منهج وفكر الإخوان المسلمين وأن الجماعة هي الوحيدة من بين الجماعات الإسلامية السنية الكبيرة في مصر وربما في بقية البلدان العربية والإسلامية التي يمكن أن توصف بالانفتاح مع الشيعة والدولة الإيرانية فما الذي يدفع النفيس لاتخاذ هذا الموقف؟..

إن المبرر الوحيد الذي يمكن قبوله في هذه الحالة هو أن خشية النفيس وغيره من وصول حركة إسلامية سنية للحكم - حتى لو كانت هذه الحركة هي الإخوان المسلمين - قد فاق في نفس النفيس السلوك المنفتح لجماعة

الإخوان مع تعاطيها مع الشيعة ليصبح منهج الإخوان هذا عند النفيس مجرد موقف يستند إليه ومن معه في الإعلان عن أنفسهم والدعوة لفكرهم، وأنهم بطرحهم يمثلون شكلا واجتهادا إسلاميا والدليل أن الإخوان لا يرفضونهم، ويقبلون بوجودهم كمسلمين لا ينقص إسلامهم وهو ما يزيل أمامهم العقبات ويفتح لهم الباب واسعا في التوغل في المجتمع المصري الذي بقدر حبه وتقديره لآل بيت النبوة رضوان الله عليهم بقدر حبه وتقديره أيضا للخفاء «أبي بكر وعمر وعثمان» – رضي الله عنهم – باعتبارهم من أقرب الصحابة للرسول ﷺ.

والموقف الذي أعلنه النفيس يتطابق مع ما اتخذه آخرون بما يشير بقوة إلى أنه ليس موقفا فرديا وإنما هو الموقف الموحد للشيعة المصريين من الإخوان المسلمين، ففي تصريحات سابقة له رفض رئيس التيار الشيعي في مصر محمد غنيم فكرة خروج تظاهرات ضد الفريق أحمد شفيق مرشح رئاسة الجمهورية قائلا: «إنها ستودي إلى اضطرابات ليست في صالح البلاد» مشيرا إلى ترشيحه الفريق شفيق بجولة الإعادة تدعيما منه للدولة المدنية والاستقرار.

كما يمكننا النظر أيضا في تصريحات المستشار الدمرداش العقالي – الذي يلقب بالزعيم الروحي للشيعة في مصر - والذي كان يوما ما نائبا لرئيس حزب العمل المصري المعروف بعلاقته القوية بكل من الإخوان المسلمين والدولة الإيرانية الشيعية، ومع ذلك يقول تعقيبا على تشكيل بعض القضاة المصريين لحركة تمثلهم: «إن حركة (قضاة مصر) تدل على عبث الإخوان بالقضاء مؤكداً أن اختيار هذه المجموعة لتصدر بيانا ليس من حقها، دلالة على تواطئهم واشتراكهم في التزوير لصالح مرسي».

وفي تصريح آخر قال العقالي إن إعلان الإخوان ترشيح المهندس «خيرت الشاطر» في الانتخابات الرئاسية هو تأكيد على أن الإخوان كاذبون وأنهم يحاولون السيطرة علي كل شيء في هذا البلد وأن الإخوان الآن ومنذ فترة طويلة خرجت عن كل أهداف ومبادئ الإمام حسن البنا مؤسس الجماعة في عام ١٩٢٨.

بل إن العقالي في هذا التصريح يؤكد أن جمال عبد الناصر بريء من دم الإخوان، بل إنهم هم الذين غدروا به وخرجوا عليه بسبب رغبتهم في السلطة ووقفوا ضده حتى ضاعت فرصة الوحدة العربية التي كان ينادي بها عبد الناصر، وبذلك أضاع الإخوان حلم الوحدة العربية!

ومناط التعجب أنه في الوقت الذي تصدر فيه مثل هذه التصريحات عن قيادات الشيعة في مصر تجاه الإخوان نجد أن إيران، الدولة الشيعية الأولى، تحاول بمختلف الطرق التقرب من الإخوان المسلمين باعتبارها المتصدر للمشهد السياسي في مصر وأن الرئيس الجديد للبلاد هو قيادي فيها، بل إن هذا التقرب اتخذ أشكالا عديدة وعميقة للدرجة التي دفعت القيادة الإيرانية إلى الإعراب عن ترحيبها الشديد بقبول الدكتور محمد مرسي رئيس مصر بالدعوة للمشاركة في قمة دول عدم الانحياز وهي على علم بأن الدكتور مرسي بصفته رئيسا لمصر التي كانت ترأس القمة السابقة سيكون له كلمة خلال فعاليات القمة ليس من المستبعد أن تتناول ما يحدث في سوريا ومن ثم فإنها ستتضمن ما يخالف ويتناقض مع السياسات الإيرانية التي تقف خلف بشار الأسد بكل قوة، ذلك لأن جماعة الإخوان والنظام المصري الجديد بقيادة مرسي كانا قد أعلنا مرارا دعمهما الكامل للثورة السورية وللجيش الحر وما كان من المنتظر أن يغضّ مرسي الطرف عن هذه القضية وهو حديث العالم شرقه وغربه.

وبقدر ما كانت كلمة مرسي بما تضمنته من إعلان موقفه من أحداث سوريا فضلا عن ترضّيه على الخلفاء الراشدين الأربعة بما يخالف منهج الشيعة تمثل صفعة قوية على وجه إيران بقدر ما كانت زيارة مرسي

لإيران من أساسها فضلا عن اعتبارها شريكا مع مصر والمملكة العربية السعودية وتركيا في حل المسألة السورية خلال المبادرة التي قدمها في قمة مكة محاولة لمجاملة إيران والإعلاء من شأنها على الرغم من إدراك مرسي بل وكل المتابعين أن إيران باتت جزءا من المشكلة وليست جزءا من الحل وأن انحيازها التام للنظام السوري القمعي سيحول بينها وبين أن تكون بأطروحاتها ملبية لتطلعات الشعب السوري بما يستلزم تهميشها وتحجيم دورها في هذه المسألة.

وأخيرا فإن ما يمكن أن نفسر به ونرد من خلاله على العديد من التساؤلات حول موقف الإخوان المسلمين المدافع عن الدولة الإيرانية والمتقارب مع الشيعة أن الإخوان ينطلقون في تحديد مواقفهم في الغالب الأعم من منطلق المصلحة السياسية الذي يعطونه أهمية قصوى تصل في بعض الحالات إلى حد التغاضي عن الموقف الشرعي والاعتبارات الأخرى فضلا عن اتباعهم لما يسمونه بحسن الظن بالمسلمين وهو أمر في غاية الخطورة عندما يكون حسن الظن بلا رابط أو معايير فغالباً ما تكون نتيجته النهائية هي الوقوع في فخ الدفاع أو التعاون مع من لا يستحق ذلك.

السجود العلوي بين الماضي والحاضر

هيثم الكسواني(*) – خاص بالراصد

صُدم المسلمون وهم يرون الجنود النصيريين في سوريا يشتمون الذات الإلهية، ويُجبرون المواطنين على السجود لصور رئيس النظام السوري بشار الأسد، ويضربونهم بقسوة كي يقولوا (لا إله إلا بشار)، وغدت المشاهد والمقاطع التي تبثها القنوات الفضائية والمواقع الإلكترونية حول تأليه بشار، وكذلك شقيقه ماهر، أكثر من أن تحصى.

وبما لا يدع مجالاً للتشكيك بصحة هذه المشاهد، فإن بعضها يُبث على قنوات تابعة للنظام النصيري العلوي الحاكم، كالتلفزيون العربي السوري وقناة الدنيا، حيث يتبارى بعض الضيوف والمتصلين للتفاخر بعبادتهم لبشار، والقول بأنه مقدم عندهم على رب العالمين، تعالى الله عمّا يقولون علوّاً كبيراً.

وأغرب من هذه كله الفتاوى الصادرة عن الدكتور البوطي بإجازته السجود على صور الرئيس السوري بشار الأسد.

حيث جاءت فتوى البوطي ردًا على سؤال وجه له عبر موقع «نسيم الشام» عن حكم الإثم الذي لحقهم بعد إجبار الأمن لهم بالسجود على صورة بشار. فأجاب البوطي بقوله: «اعتبر صورة بشار بساطا.. ثم اسجد فوقه»، على حد قوله.

وذكرت جريدة «زمان الوصل» السورية أن سؤالا وجّه للبوطي في موقع «نسيم الشام» من قبل شخص لم يذكر اسمه، وجاء في السؤال: «ما حكم توحيد غير الله قسرًا كما يحدث في فروع الأمن عند الاعتقال وإجبارهم على القول بأن «بشار الأسد إلهنا وربنا»، بحسب ما جاء في السؤال. فجاء الرد بحسب الفتوى رقم ١٤٦٥٨: «إن ذلك يحدث بسبب خروج هذا الشخص مع المسيرات إلى الشارع والهتاف بإسقاط النظام وسبّ رئيسه والدعوة إلى رحيله» !!

وما من شك فإن أي مسلم يشاهد ذلك أو يسمعه سيصاب بالصدمة والذهول، وسيتملّكه الغضب، لما فيه من شركٍ بالله سبحانه وتعالى، وكفرٍ صريح، علاوة عمّا يمارسه العلويون النصيريون من حقد وقسوة واعتداء على المسلمين من أهل السنة، وعلى مساجدهم وممتلكاتهم وأعراضهم.

لقد ظنّ المسلمون أن بلادنا ودّعت الشرك والوثنية إلى رحاب الإسلام والتوحيد منذ قرون طويلة، وظننا أن منظر المشركين في مكة وهم يعذبون بلال بن رباح رضي الله عنه، ويضعون على ظهره الصخرة الكبيرة، ليكفر ويعود إلى عبادة

(*) كاتب أردني.

الأصنام شيء من الماضي، فإذا بهذا الماضي يعود وبأقبح صوره، وفي بلد من بلاد الإسلام، سوريا.

لكن شيئا من الاستغراب سرعان ما سيزول إذا علمنا أن كثيرا من الفرق المنحرفة التي انتسبت للإسلام (ومنها النصيرية) لم تبرح الشرك والوثنية منذ تأسيسها، وظل تأليهُ الأفراد من دون الله دينَها وديدَنها:

فالشيعة غلوا في علي بن أبي طالب رضي الله عنه والأئمة من بعده، وادّعوا أنهم يعلمون الغيب، ويتحكمون في الكون، وأنهم يقدِرون على إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وجميع معجزات الأنبياء عليهم السلام.

والدروز اعتقدوا بألوهية الحاكم بأمر الله، سادس حكام الدولة العبيدية الفاطمية، صاحبة المذهب الشيعي الإسماعيلي.

واعتبرت البهرة والأغاخانية، وهما من الفرق الإسماعيلية المعاصرة، زعماءهما آلهة من دون الله.

وكذلك البهائيون اعتبروا زعيمهم (البهاء) إلها من دون الله، حتى أن ابنه، عباس أفندي، تسمى بـ «عبد البهاء».

أما فرقة النصيرية، أو العلويين، موضوع حديثنا في هذا المقال، والتي ينتمي إليها رئيس النظام السوري الحالي، بشار الأسد، والتي تمسك بمقاليد الحكم في سوريا، فهي الأخرى، اعتقدت بألوهية بعض الأشخاص من دون الله، فالنصيريون يعتقدون بألوهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه، «وهذه الألوهية لا تحتاج إلى برهان لأنها هي برهان كل شيء. هي ركن العقيدة النصيرية، وحولها تدور سائر العقائد، وعليها تبنى الديانة، وانطلاقا من هذه العقيدة تتحدّد معالم الإيمان»[1].

وزعم النصيريون أن عليّا خلق محمدا ﷺ، وأن محمدا ﷺ خلق سلمان الفارسي، وسلمان خلق المقداد، والمقداد خلق الناس، ولذلك يدعونه رب الناس[2].

«ومن عقيدتهم: الحلول[3]، أي أن الله تعالى تجلى للمرّة الأخيرة بعلي كما تجلى قبل ذلك بقابيل وشيث وسام وإسماعيل وهارون وشمعون، واتخذ في كل دور رسولا ناطقا، تمثل على الترتيب في آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى.

فعليٌّ إله في الباطن، إمام في الظاهر، لم يلد ولم يولد ولم يمت ولم يُقتل، ولم يأكل أو يشرب، وقد اتخذ عليٌّ محمدا، ومحمد متصل بعليّ ليلا، منفصل عنه نهارا»[4].

وما دام هؤلاء النصيريون يعتقدون أن الإله يحلّ فيهم، فقد كان كثير منهم يدّعي الألوهية، ويجبر الناس على السجود له، خاصة إذا توفرت له القدرة على ذلك، ويحدثنا الإمام ابن كثير عن واحدة من الحالات التي أعلن فيها أحد النصيرية قديما ادّعاءه للألوهية، وإجباره المسلمين على السجود له، وكان ذلك في القرن الثامن الهجري، يقول ابن كثير في أحداث سنة ٧١٧هـ:

«وفي هذه السنة خرجت النصيرية عن الطاعة، فأقاموا من بينهم رجلاً سموه (محمد بن الحسن المهدي القائم بأمر الله)، وتارة يدّعي أنه علي بن أبي طالب فاطر السماوات والأرض، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، وتارة يدّعي أنه محمد بن عبد الله صاحب البلاد، وصرح بكفر المسلمين، وأن النصيرية على الحق، واحتوى هذا

(١) موسوعة المجموعات العِرقية والمذهبية في العالم العربي، إشراف ناجي نعمان، ص ٢٧١.

(٢) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، للدكتور محمد الخطيب، ص ٣٢١.

(٣) «تجسد الخالق في المخلوق بحلوله في بعض بني الإنسان، وامتزاجه به امتزاجا كاملا في الطبيعة والمشيئة بحيث تتلاشى الذات الإنسانية في الذات الإلهية.. وقد عُرفت هذه الفكرة في النصرانية بفكرة اتحاد اللاهوت بالناسوت، أو حلول اللاهوت في الناسوت، حيث يزعمون أن الله حلّ في المسيح الإنسان ليتكون المسيح الإله من طبيعتين، وبهما تأثرت الصوفية..» انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف د. مانع الجهني، دار الندوة العالمية، الرياض، ط ٣، ١٤١٨هـ، المجلد الثاني، ص ١٠٥٩، ١٠٦٠.

(٤) النصيرية (العلويون) للدكتور مجاهد الأمين، ص ١٦.

الرجل على عقول كثير من كبار النصيرية الضلاّل، وعيّن لكل إنسان منهم تقدمة ألف، وبلاداً كثيرة ونيابة قلعة، وحملوا على مدينة جبلة، فدخلوها وقتلوا خلقاً من أهلها، وخرجوا منها يقولون: **لا إله إلا علي، ولا حجاب إلا محمد، ولا باب إلا سلمان.**

وسبّوا الشيخين، وصاح أهل البلد: وا إسلاماه، وا سلطاناه، وا أميراه، فلم يكن لهم يومئذ ناصر ولا منجد، وجعلوا يبكون ويتضرعون إلى الله عز وجل، فجمع هذا الضال تلك الأموال فقسمها على أصحابه وأتباعه قبحهم الله أجمعين.

وقال لهم: لم يبق للمسلمين ذكر ولا دولة، ولو لم يبق معي سوى عشرة نفر لملكنا البلاد كلها.

ونادى في تلك البلاد: إن المقاسمة بالعُشر لا غير ليرغب فيه، وأمر أصحابه بخراب المساجد واتخاذها خمّارات، وكانوا يقولون لمن أسروه من المسلمين:

قل :لا إله إلا علي، واسجد لإلهك المهدي، الذي يحيي ويميت حتى يحقن دمك، ويكتب لك فرمان، وتجهزوا وعملوا أمراً عظيماً جداً.

فجرّدت إليهم العساكر فهزموهم وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وجماً غفيراً، وقتل المهدي الذي أضلّهم وهو يكون يوم القيامة مقدمهم وهاديهم إلى عذاب السعير، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤﴾ [الحج: ٣- ٤][1].

أما في العصر الحديث، وتحديداً في فترة الاحتلال الفرنسي لسوريا، فتحدثنا المصادر عن ادّعاء علوي نصيري اسمه سليمان المرشد للألوهية، إضافة إلى سعيه للانفصال عن الدولة ومحاربتها، يقول د. محمد الخطيب عن المرشد:

«.. فكان يلبس ثياباً فيها أزرار كهربائية، ويحمل في جيبه بطارية صغيرة متصلة بالأزرار، فإذا وصل التيار أضاءت الأنوار من الأزرار فيخرّ له أنصاره ساجدين، ومعهم المستشار الفرنسي، الذي كان يسجد مع الساجدين، ويخاطب سليمان بقوله: (يا إلهي) ..ولمّا استقلّت سوريا، وجلا الفرنسيون عنها، جرّدت الحكومة حملة استطاعت القضاء على هذه الفتنة، واعتقلت سليمان مرشد، حيث حوكم وشنق عام ١٩٤٦م (١٣٦٦هـ).

وبعد أن قتل سليمان مرشد، قام بعض أتباعه بتأليه ابنه (مجيب المرشد) ولكنه قُتل بعد فترة بسيطة، وبقي أتباعه على تأليهه، وعندما يذبحون يقولون: باسم المجيب أكبر، من يدي لرقبة أبي بكر وعمر»[2].

للاستزادة:

١- الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، ط ١، مؤسسة المعارف ودار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

٢- د. محمد الخطيب، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، عقائدها وحكم الإسلام فيها، ط ٢، مكتبة الأقصى، عمّان، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

٣- د. مجاهد الأمين، النصيرية (العلويون) عقائدهم – تاريخهم- واقعهم.

٤- موسوعة المجموعات العِرقية والمذهبية في العالم العربي، إشراف ناجي نعمان، دار نعمان للثقافة، بيروت، ١٩٩٠.

(١) البداية والنهاية لابن كثير، المجلد الثاني، ص ٢٩٧٤.

(٢) الحركات الباطنية ص ٣٣٤.

المرجعية الشيعية والوطنية

عبد الهادي علي(*) – خاص بالراصد

يتصور بعض الشيعة أننا نظلمهم عندما نقول إن المذهب الشيعي لا يمكن أن يكون وطنيا[1] ولكننا في هذا المقال سنثبت للجميع - شيعة وسنة- أن المراجع الشيعة لا تهتم بالشأن الوطني.

والمرجع عند الشيعة هو أكبر شخصية دينية يتم الرجوع إليها في أحكام الدين، والدين هنا هو بالمفهوم الشامل؛ أي الذي يشمل أحكام العبادة وأحكام الدنيا جميعا، لذلك فالمرجع عند الشيعة ينبغي أن يُطاع ولا يعصى وفي معصيته مخالفة للدين قد تصل إلى درجة الكفر.

والمرجع لا يُنظر إلى جنسيته أو مواطنته ولا ينظر إلى قوميته، فلا موطن للمرجع ولا قومية؛ وهذا ينطبق على علماء الدين السنة كذلك، فالإسلام دين شمولي لا يحدّه وطن أو قومية.

لكن بعد سقوط الخلافة العثمانية وظهور الدول القُطرية انصرف كل بلد لهمومه الخاصة؛ فرأينا عمليا وواقعيا أن علماء الجزائر هم من وقف بوجه الاستعمار الفرنسي لبلادهم، وساندهم بقية علماء الأمة والبلدان، وكذلك علماء السودان ومصر وسوريا، وعندما سيطرت العلمانية في عهد أتاتورك على تركيا كان النورسي وتلاميذه هم من أرجع الإسلام إلى تركيا، وقِس على ذلك كل البلدان السنية.

لكن الأمر عند الشيعة مختلف فمقاومة الاحتلال ليست مرتبطة بمصلحة الوطن أبداً، بل هي مرتبطة بمصلحة المذهب الشيعي، فإن كانت المقاومة في صالح المذهب قاوموا، وإن كانت المصلحة في المهادنة هادنوا، وليذهب الوطن للجحيم، كما هو حاصل اليوم في العراق تحت حكم المالكي.

وسبب ذلك أن المراجع في الغالب هم إيرانيون أو يتبعون لمدارس إيرانية، فاليوم في العراق يوجد عدد من المراجع الإيرانيين يحكمون التوجه الشيعي في العراق: بداية من علي السيستاني، وإسحاق الفياض، ومحمد سعيد الحكيم، ومحمد تقي المدرسي، فكل هؤلاء إيرانيون، وبشير النجفي الباكستاني، وهؤلاء هم أهم المراجع المؤثرة والفعالة، كما يوجد مرجعيات محدودة التأثير مثل الخالصي ومحمود الصرخي وأحمد البغدادي ومحمد اليعقوبي وهؤلاء من العرب، لكن المرجعية الأكثر رواجا هي للسيستاني، وهو إيراشني من مواليد ١٩٣٠ دخل العراق سنة ١٩٥١ وبقي إيرانيا ورفض التجنس بالجنسية العراقية.

فعلى هذا فإن من يتحكم بشيعة العراق اليوم هو رجل إيراني الجنسية!!

ولو قارنّا موقف المرجعية الشيعية من الاحتلال البريطاني والأمريكي، فسنجد أن السيستاني يفتي بطلاق زوجة من لا يخرج للانتخاب بعد الاحتلال الأمريكي، بخلاف فتوى المراجع: الخالصي (عربي)[2] والنائيني(فارسي) وأبو الحسن الأصفهاني (فارسي) في بداية تأسيس الدولة العراقية زمن الاحتلال البريطاني بحرمة الانتخابات

(*) كاتب عراقي.

(١) ظهر مصطلح الوطنية في المجتمع الأوروبي إثر تطورات فكرية وسياسية هامة أدت إلى إعادة صياغة المجتمعات الأوروبية. وتبلور حول مفهوم (الوطن) أي البلد الذي تتفق فيه جماعة من الناس على أن تلتزم بسيادته وطاعة الحاكم، وما يتبعه من أجهزة حكومية، وقد ظهر بعد أن سعى سياسيون وفلاسفة إلى كسر شوكة الكنيسة والحدّ من تدخلها في الحياة العامة في المجتمعات الأوروبية بعد الصراع الدامي الذي دار لعقود من الزمن واستهلك الكثير من الدماء والثروات. ويقال إن رفاعة الطهطاوي هو من أدخله إلى العالم الإسلامي.

(٢) الزعامات الدينية العربية كانوا قد ارتبطوا مصيريا بدولة الفرس من خلال منحهم الجنسية الإيرانية تهربا من التجنيد في الجيش العثماني، فعلى سبيل المثال كان الشيخ مهدي الخالصي وأولاده الثلاثة بالإضافة إلى ابن أخيه، والشيخ حسن الجواهري وغيرهم الكثير يحملون الجنسية الإيرانية ويتمتعون بحقوق الرعايا الإيرانيين كاملة.

وتحريم زوجة الناخب عليه! فهل ذلك لمصلحة وطنية أم لأن الأمور والحكومة يومئذ - سنة ١٩٢١ - كانت للسنة واليوم هي للشيعة؟

ولماذا تفتي المرجعية بالجهاد في ثورة العشرين مع دخول الإنكليز وتمتنع عنها يوم دخول الأمريكان؟!

فقد أطلقت الفتاوى آنذاك بحرمة إشغال الوظائف الحكومية، ومنها فتوى المرجع مرزا محمد تقي الشيرازي في آذار/ مارس ١٩٢٠م، وفتوى المرجع مهدي الخالصي عام ١٩٢١م حينما اعتبر ذلك عملا من أعمال التعاون مع الكفار، لكن انقلبت الشريعة في القرن الحادي والعشرين لينبري المراجع للترويج خدمةً للمحتل ومشاريعه وتحقيقا لأهدافه فأفتوا بوجوب العمل تحت عين المحتل وعدّوا ذلك واجبا وتكليفا شرعيا.

وعندما أرادت الحكومة المشكّلة في ظل الاحتلال البريطاني تشكيل جيش وطني وإصدار قانون للتجنيد وقف المراجع الشيعة ضده وحرضوا الشعب بهذا الاتجاه، ولم تتمكن الدولة من إصدار ذلك القانون حتى عام ١٩٣٤م بعد أن اعترفت الحكومة الإيرانية بالعراق كدولة، في حين نجد أن مراجع الاحتلال الحالي لم يعترضوا على قيام المحتل بحلّ الجيش العراقي العريق بتاريخه والمتميز ببطولاته في الدفاع عن تربة العراق، لأن ذلك القرار كان بناءً على رغبة إيران؟

لقد أفتى الخالصي بعد نفيه من العراق إلى عُمان إثر مواقفه من الانتخابات ومن ثم ذهابه من هناك إلى إيران - في عام ١٩٢٣م بوجوب اقتطاع قسم من أموال «الخمس» التي تُجبى من أهل العراق – وهي مبالغ كبيرة – وتسليمها ليس إلى فقراء العراق الذين كانوا السواد الأعظم من شعب العراق، بل إلى الحكومة الإيرانية بهدف تطوير قدراتها التسليحية، كما أفتى بتخصيص العوائد المالية الواردة لمرقد موسى الكاظم للهدف ذاته، مع أن الحكومة الإيرانية كانت واقعة أيضا تحت الهيمنة البريطانية.

فلا أدري إن كان هذا عراقيا أم تجري في عروقه دماء إيرانية! وأي وطنية هذه؟ وهو يشبه مطالبة عبدالعزيز الحكيم الحكومةَ العراقية بعد الاحتلال بتعويض إيران عن حربها مع العراق زمن صدام حسين!!

إذن فالمرجعية الشيعية منحازة ليس للوطن العراقي بل إلى مصلحة المذهب أو مصلحة إيران، وربما تتوافق مصلحة المذهب مع العراق (الوطن) وربما غير ذلك.

وما هي حقيقة صلة المراجع بإيران؟ ألم يقل المرجع محسن الحكيم عن شاه إيران: «إن نظام الشاه هو المدافع الوحيد عن شيعة العالم وهو حصنهم الحصين والوحيد»، فكيف نثق بعد ذلك فيه أن يكون وطنيا؟

ألم يأخذ المرجع الخوئي الإيراني مليارات من جيوب شيعة العراق لتودع في بنوك بريطانيا ويتنازع عليها أولاده من بعده، واليوم يبني السيستاني المدارس والمستشفيات والأسواق والمجمعات السكنية في إيران ولا يبنيها في العراق، وقد قتل الجوع أبناء الشيعة في الجنوب!! بل وصل الحد إلى تمويل ملاعب كرة القدم في مدينة تبريز الإيرانية[1].

وعندما جاء الاحتلال سنة ٢٠٠٣ وأسس دستورا عراقيا جديدا كتب فيه: (المادة الخامسة عشرة: للمرجعية الدينية استقلاليتها ومقامها الإرشادي كونها رمزاً وطنياً ودينياً رفيعاً)، فهل الاحتلال هو من ينصّب المرجعية رمزا وطنيا؟؟ سبحانك هذا بهتان عظيم!

(١) انظر الخبر في مجلة الراصد نيوز بتاريخ الشهر الثامن من هذه السنة ٢٠١٢.

الطائفية صنع الأسد

د. أيمن محمد هاروش(*)– خاص بالراصد

مما يميز المجتمع السوري أنه مجتمع متعدد الطوائف والقوميات، فمن حيث القوميات فيه العربية والكردية والتركمانية والسريانية والشركسية، والغالبية هي العربية، ومن حيث الديانات فيه المسلمون السنة والشيعة الإثنا عشرية والإسماعيلية والمراشدة والنصيرية (العلويون) والدروز والمسيحيون والصابئة، وتعايشت هذه القوميات والطوائف بشكل سلمي لم يعرف العالم له نظيرا، حتى جاءت دولة البعث، فشوّهت المنظر ولعبت بالأوراق وأحدثت الحساسية الطائفية في سوريا.

سوريا قبل ١٩٦٣م

لن أغور في أعماق التاريخ للحديث عن التعايش بين السوريين مع اختلاف أديانهم وقومياتهم، بل يكفي أن أسلط الضوء على المرحلة من احتلال فرنسا إلى مجيء نظام الأسد، ففي أولى الحكومات التي شكلت بعد رحيل العثمانيين، وفي عهد الملك فيصل كان فارس بيك الخوري رئيسا لها وهو مسيحي، وعندما جاء الفرنسيون إلى سوريا قال له الجنرال غورو: جئنا إلى سوريا لحماية المسيحيين، فذهب فارس بيك إلى المسجد الأموي يوم الجمعة وصعد المنبر وقال: إذا كانوا يقولون إنهم جاؤوا لحماية المسيحيين، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وحمله الناس على الأكتاف وساروا به في شوارع دمشق بمظاهرة حاشدة، وفي سابقة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً، وفي عام ١٩٤٤م تقلد فارس بيك الخوري إلى جانب منصب رئاسة الوزراء حقيبة وزارة الأوقاف الإسلامية، وعندما اعترض على ذلك بعض أعضاء البرلمان وقف الشيخ عبدالحميد الطباع رئيس الكتلة الإسلامية في البرلمان وقال: إننا نؤمّن فارس بيك على أموالنا أكثر من أنفسنا.

وفي الخمسينيات ترشح في سهل حوران لرئاسة الميتم الإسلامي (جمعية خيرية ترعى الأيتام) رجل مسيحي اسمه هاني السالم ورجل مسلم من جماعة الإخوان المسلمين وهو الشيخ أحمد الجنادي فنجح الرجل المسيحي هاني السالم.

وربما لا يعرف كثير من السوريين أن عددا من رؤساء الجمهورية كانوا من الأكراد أمثال: شكري القوتلي وحسني الزعيم، واجتمعت في فترة واحدة رئاسة الجمهورية للكردي شكري القوتلي ورئاسة الوزراء للمسيحي فارس الخوري، هذا في دولةٍ الأغلبيةُ فيها للعرب السنة.

ولم يكن يسمع في ذلك العهد أي عبارة تحمل معاني الطائفية بل كان الانتماء للوطن، والاختيار على قدر الوطنية، فهل عرف العالم تعايشا سلميا وابتعادا عن الطائفية كما عرفتها سوريا قبل آل الأسد.

وعندما نقرأ في تاريخ الثورة السورية وزعماء النضال ضد الفرنسيين نجد سلطان باشا الأطرش (الدرزي) وفارس الخوري (المسيحي) ويوسف العظمة (الكردي) وإبراهيم هنانو وحسن الخراط (السنيان) وصالح العلي (العلوي)، فنجد أن سوريا بكل فسيفسائها الطائفي كانت تمثل يدا واحدة لمقاومة المستعمر وبناء الوطن الواحد سوريا، هكذا كانت سوريا وهكذا بقيت حتى عام ١٩٦٣.

ثورة ٨ آذار وصمة العار في تاريخ سوريا

ومع مجيء حزب البعث إلى سدة الحكم عام ١٩٦٣م، وبغضّ النظر على سلبه للأموال بحجة التأميم وتحويل الأغنياء إلى فقراء بدلا من العكس، وإعادة اقتصاد البلد إلى الهاوية، وبغض النظر عن سياسة الحزب الواحد الحاكم التي فرضها على الشعب وتنصيب نفسه وليا على الشعب القاصر، بغض النظر عن كل ذلك فإن أمرا واحدا كان كافيا ليجعل من ثورة آذار وصمة عار وخزي، وهو إدخاله البلد في صراع بين التيار الإسلامي والتيار العلماني.

(*) كاتب من سوريا.

بدأت النعرة والفرقة بين السوريين تتشب وابتدأت بين البعث، وهو ممثل المد العلماني القومي، وبين الجمعيات والتيارات الإسلامية، ومنذ البداية اختار البعثيون الدموية في خطابهم وسلوكهم، فراح منظرو البعث كزكي الأرسوزي يكتب مقالا في مجلة جيش الشعب يطعن فيه بالإسلام من خلال حديثه عن أسطورة آدم، ويجب التنبه إلى أن زكي الأرسوزي ينحدر من الطائفة النصيرية (العلوية)، أقول هذا لأن الأحداث المتتالية أثبتت أن رجالا من هذه الطائفة بدأت تستغل الحزب والجيش لتصل إلى الحكم وتحوله إلى ملكية طائفية، وما كتبه الضابط إبراهيم خلاص في ١٩٦٧/٤/٢٥ في نفس المجلة من سخرية بالدين وقال بالحرف: (يجب أن يوضع الله في المتحف).

وأما دموية السلوك فعندما قامت مظاهرة في مدينة حماه ضد البعثيين عام ١٩٦٤م وكان محافظها يومها عبد الحليم خدام، ورئيس الجمهورية أمين حافظ (السنيان)، فدخل الجيش وضربها وهدم أقدم جامع فيها وهو جامع السلطان، ومثله حدث في الجامع الأموي عندما اقتحمته الدبابات وجماعة الحرس القومي البعثي عام ١٩٦٥ بعد إضراب تجار دمشق احتجاجا على سياسة البعث، وخطب حافظ الأسد مِن على شرفة ثكنة حماه وقال: «إننا نتجه لتصفية خصومنا جسديا» وهو الذي قال - كما أقر بذلك أحمد أبو صالح عضو قيادة ثورة آذار في شهادته على العصر بقناة الجزيرة - : «علينا أن نقضي على الإخوان المسلمين وكل متدين في هذا القطر لأنه رصيد احتياطي لهم» وكان ذلك بعد نجاح ثورة آذار عام ١٩٦٤م.

كل ذلك يشهد لدموية السلوك، لكن قرن الطائفية لم يكن يبرز بشكل جلي وإن بدأت تتشكل ملامحه حتى بدأت عملية الانقلابات الحزبية التي أطاحت بمؤسسي البعث ميشيل عفلق (المسيحي) وصلاح بيطار (السني)، وشبلي العيسمي (الدرزي).

ثم بدأت الحركات العسكرية فكانت حركة الضابط العلوي صلاح جديد في شباط ١٩٦٦م، التي أطاحت بحكم أمين حافظ وأنهت تولي محمد عمران لوزارة الدفاع (الضابط العلوي شريك صلاح جديد وحافظ الأسد في اللجنة العسكرية) ثم حركة حافظ الأسد التصحيحية عام ١٩٧٠م التي أطاحت بصلاح جديد ورفاق النضال، وجعلته الحاكم الفرد المطلق في البلاد!!

والذي يبدو أن سيطرة العلويين على الجيش كانت مدبرة من أمد قبل هاتين الحركتين بدليلين: **أولهما**: تشكيل اللجنة العسكرية لحزب البعث عام ١٩٥٩م (علما أنه كان منحلا أيام الوحدة مع مصر) وشملت خمسة ضباط، ثلاثة علويين وهم (صلاح جديد ومحمد عمران وحافظ الأسد) واثنان إسماعيليان وهما (عبد الكريم الجندي وأحمد المير)، ثم توسعت لتشمل خمسة عشر عضوا ومنهم سليم حاطوم (الدرزي)، وموسى الزعبي ومصطفى الحاج علي (السنيان)، والتي آلت للعلويين بزعامة صلاح جديد وحافظ الأسد بعد تصفية السنة، ثم تصفية الدروز ثم الإسماعيلية، ثم انفرد بها حافظ الأسد بعد تصفيته لصلاح جديد ورفاق نضاله.

ثانيهما: تسريح عدد كبير من ضباط السنة، فما بين عامي ١٩٦٤ - ١٩٦٦ كان قد سرح أكثر من ٤٠٠٠ ضابط سني، وفي الفترة نفسها لوحق ضباط من مختلف الطوائف ممن يشكلون ثقلا في الجيش وخطرا على القوة العلوية القادمة فلوحق فهد الشاعر وسليم حاطوم وطلال أبو عسلي وهم من الدروز، وتم إعدام سليم حاطوم عام ١٩٦٧م بتهمة الانقلاب على صلاح جديد، ثم لوحق عدد من الضباط الإسماعيلية كعبد الكريم الجندي وأحمد المير وأنصارهما، وكان الضباط العلويون يستغلون سذاجة وبلاهة أمين حافظ الذي كان يوقع على ما لا يعلم، وهو صرح بهذا نفسه في شهادته على العصر في قناة الجزيرة، ولهذا فهو يستحق وبكل جدارة ما لقبه به السوريون.

هذا التناحر الذي بدأ بين البعثيين والإسلاميين

ثم تبلور بين العلويين والسنة على وجه الخصوص، جعل الطائفية تظهر على الساحة السورية، وكانت في قمة ظهورها أيام المقبور حافظ الأسد، ولا سيما بعد الثمانينيات حيث سلك سياسة الإقصاء للدين عن الحياة ومحاربة المتدينين (يعني محاربة أهل السنة)، وتقريب الأقليات الأخرى ومحاولة إقناعها بخطر الأغلبية السنية، وضرورة التلاحم معه لدرء خطر السنة عن الأقليات.

ثم احتكر مراكز القوة في الدولة من الجيش والأمن على الطائفة العلوية ومن يواليه من أراذل السنة والطوائف الأخرى، بل تعدى الأمر لاحتكار البعثات العلمية والمراكز العليا في الدولة، حتى صارت الطائفية تظهر في أبسط معاملة حكومية.

وبخبث آل الأسد تَعكّر صفو سوريا وتحولت فسيفساؤها الطائفية إلى مظهر مقيت ومريب فيها.

الثورة والطائفية

وفي ثورة الكرامة السورية التي حركها الله تعالى بمعجزة من عنده، كان الدليل كبيرا وعظيما على فشل النظام السوري في غرس الطائفية في نفوس الشعب السوري، فمنذ البداية نادى الشعب الثائر (الشعب السوري واحد) وخرج في المظاهرات كل أبناء الوطن من العرب والأكراد والتركمان من حيث القومية، ومن السنة ومن المسيحيين والدروز والإسماعيلية من حيث الطائفية، وإن كانت الغلبة للسنة، وروى ترابَ الوطن كثيرٌ من أبناء الطوائف الأخرى غير السنة.

ومازال النظام وأبواقه ومن يناصره يعزفون على وتر الطائفية ويحذرون الأقليات من خطر الأكثرية السنية ولكنه لم ينجح فيها، ومن المضحكات في سياسته في استمالة الدروز ما أصبح يستعمله من مصطلح (الشيعة الدروز) وكأنه يريد أن يقول لهم نحن وأنتم في خندق واحد، لكنها لم تنطل على أبناء معروف وأحفاد سلطان الأطرش، ويعجبني ما قاله صديقي العزيز الأستاذ فارس الشوفي تعليقا على ذلك: «ونكاية بالإعلام الأسدي الطائفي الذي صار يُسمِّي أبناء معروف بـ «الشيعة الدروز»، أقول باسمي وباسم كل أحرار جبل سلطان الأطرش بأننا سنكون منذ الآن «السنّة الدروز» إلى أن تنتصر الثورة، وإلى أن ينتصر دم أطفال داريا على بنادق البرابرة الجدد... وعندها فقط سنعود دروزاً – لا سنة ولا شيعة –».

وكذلك محاولة تفجير جرمانا، التي يعرف كل عاقل أنها من صنع النظام، وأخير جاءت اعترافات ميشيل سماحة دليلا قاطعا على خبث النظام وتلاعبه بورقة الطائفية.

والذي يحزنني أن خبث النظام الطائفي لم يلق رواجا إلا عند العلويين، فالتشبيح الذي يقومون به وذبح الثائرين بالسكاكين يجعلهم حطبا ووقودا للنظام، وأكرر ما قلته في مقالي السابق: أليس منكم رجل رشيد؟

قد يكون هنا وهناك منهم من يعرف اللعبة ويتبرأ منها كبعض شركائنا في المعارضة لكنها لا تشكل ظاهرة تجعل للطائفة براءة من تهمة دعم النظام، وربما برر بعضهم كمن حاورني مرة بأن العلويين مكرهون على ذلك وأن النظام أشد فتكا بهم وأنه قدر لا خيار لهم سواه، لكنني لا أقتنع بهذه الأعذار وإن كنت أقتنع أن الكثير منهم أوذي من هذا النظام اللعين.

الطائفية بعد الأسد

وكثيرا ما يطرح هذا السؤال، ما طبيعة الحياة والتعايش بين الطوائف بعد رحيل الأسد؟

وأجيب بكل ثقة: إن الطائفية ولدت بولادة العصابة الأسدية وستسقط بسقوطها، وستعود سوريا – بإذن الله تعالى- كما كانت أكبر مثل في العالم للتعايش السلمي وتلاحم الطوائف مع بعضها، والذي يجعلني أجزم بهذا عدة أمور:

الوعي الكبير الذي يتمتع به الشعب السوري، والإرث التاريخي الكبير من التعايش بين الطوائف، هذا الوعي الذي ظننا أنه تعكر في ظل حكم عصابة الأسد، لكنه ظهر في الثورة أنه لم يزل صافيا ونقيا.

صمود الشعب أمام المخططات الطائفية

والمحاولات المتكررة للنظام في جرّ الطوائف ولا سيما الأقليات لحرب طائفية مستعرة، فإذا استعصت عن الوقوع في شرك الطائفية في ظل أحداث الثورة الدامية، فهي بعد رحيل الأسد أشد استعصاء.

البرامج والمشاريع التي تعمل عليها أطياف كثيرة من المعارضة لحماية السلم الأهلي بعد سقوط الأسد، لأننا نتوقع أن يقوم النظام بتحريك أذنابه بعد سقوطه بإحداث خروقات طائفية ليبقى البلد في حالة فوضى ودموية، ولهذا تسعى أطياف كثيرة من المعارضة على تجنيب البلد ذلك.

ولكن لا أحب المثالية المتعالية عن الواقع، فما أحدثه بعض مأجوري النظام من أبناء الطائفة العلوية من مذابح في الحولة والقبير والتريمسة وحمص قد يثير الحمية في نفوس الأهالي ويجعلهم ينخرطون في ثأر طائفي يجر لحرب أهلية، وهنا يأتي دور العلماء والمثقفين لضبط الأمور وتبيين الحقائق، وأنا كوني واحدا من الدعاة وأصحاب الكلمة في قومي سأسعى جاهدا ومعي الكثيرون ممن أعلمهم لرفع شعار (ولا تزر وازرة وزر أخرى)، والحساب لكل من تلوثت يده بالدم السوري من أي طائفة كانت وتحت أروقة الدولة القادمة، ويجب أن لا ننسى أن التشبيح كان من كل الطوائف وشبيحة السنة عاثوا فسادا أكثر من غيرهم، ويعرف هذا أهل حلب وإدلب.

خاتمة

وفي الختام أريد القول: سيسجل التاريخ أن أسوأ مرحلة مرّت فيها سورية كانت فترة حكم الأسد، وأن أقذر بشر عرفتهم سورية هم عصابة الأسد، وأن الطائفية من مفرزات قاذورات العصابة الأسدية، وبسقوطها وزوال الأسد، تعود سوريا إلى لحمتها وعافيتها وريادتها وسيادتها وعزها، وإن ذلك قريب بإذن الله تعالى.

أهمية دراسة التقسيمات الدينية في الغرب (٢ من ٢)

عامر عبد المنعم(*) – خاص بالراصد

الجهل بالغرب وغياب الدراسات الكافية عن هذا الكيان الذي يعادي الأمة الاسلامية تجعلنا غير قادرين على إدارة علاقة جيدة معه، تحفظ الحقوق وترد المظالم. فالغرب يدرسنا جيدا ولديه بنوك للمعلومات يرجع لها الساسة ومتخذو القرار في كل كبيرة وصغيرة متعلقة بنا، وفي المقابل ليس لدينا معلومات كافية موثوق فيها نعتمد عليها عند التعامل مع الغرب، بل إن كثيرا من المعلومات التي لدينا قدمها لنا الغرب نفسه ومعظمها يرسم صورة إيجابية مضللة تبعد الأنظار عن الواقع الحقيقي لتشتيت الجهود وإفشال أي سعي تجاه الاستقلال.

وتعد الخريطة الدينية للمسيحية الغربية وتقسيماتها محورا مهما في فهم الغرب، وتفيد في رسم صورة حقيقية عن الخلافات والتناقضات بين الدول الغربية وتفسير الكثير من التحركات السياسية على الساحة الدولية، وتوضيح ما وراء التحالفات والحروب التي غالبا ما يكون المسلمون هم ضحاياها.

في الجزء الأول من هذه الدراسة أشرنا إلى أن الغرب ليس كيانا عقائديا واحدا، إذ انعكس التثليث في النصرانية الغربية على الأرض لتتحول إلى ثلاثة مذاهب رئيسية: الكاثوليكية، والأرثوذكسية والبروتستانتية، وهذا الانقسام أدى إلى خلافات وانشقاقات وحروب، لا زالت آثارها ممتدة حتى اليوم.

واليوم نواصل النظر في أهم الفوارق الدينية للمسيحية الغربية المتعلقة بخريطة المذاهب،

(*) كاتب وباحث مصري.

ونسبة الارتداد عن المسيحية والتحول من مذهب إلى آخر، والتبشير، وطبيعة الخصومة مع الإسلام والقابلية لاعتناقه.

نسبة الارتداد عن الدين

من الأمور المثيرة للتساؤل أن النصرانية التي تنتشر فيما يطلق عليه «العالم الثالث» تتراجع في أرضها، خاصة في الغرب الكاثوليكي والبروتستانتي، مع ثباتها في الدول الأورثوذكسية.

تشير الأرقام إلى أن الكاثوليكية تعاني من انخفاض قطاعات من أتباعها في أوربا وارتدادهم عنها. يخرج الأوربيون الكاثوليك عن المسيحية بنسب مرتفعة عن الغرب البروتستانتي حيث تقل النسبة إلى حد ما لكنها متزايدة. السمة الغالبة للمرتدّين عن المسيحية في أوربا أنهم يظلون بلا دين، بينما ينضم المرتدون عن المسيحية في أمريكا إلى الجماعات الروحية وإلى الإسلام.

فيما يلي أرقام[1] من دول مختلفة من الكتلتين الكاثوليكية والبروتستانتية تشير إلى أن ترك المسيحية والعيش بلا دين بات ظاهرة متزايدة:

كندا	١٦٪
فنلندا	١٥,١٪
فرنسا	٤٪
ألمانيا	٢٨,٣٪
أيرلندا	٤,٢٪
هولندا	٤٢٪
بريطانيا	٢٣,١٪
أمريكا	١٦٪
أستراليا	٣٠٪

وهذه الأرقام رسمية، وهي تقل عن الأرقام الحقيقية التي تكشفها بحوث ودراسات ميدانية.

تشير الدراسات إلى أن «الذين خرجوا من المسيحية في فرنسا حتى ١٩٩٨ ويعيشون بلا ديانة يتجاوزون نصف الفرنسيين»[2]. وتصل النسبة إلى ٩٠٪ من الهولنديين. وفي أمريكا فإن «الظاهرة في ازدياد، ففي عام ١٩٥٧ كانت ٢,٦٪ وفي عام ١٩٩٤ نمت النسبة إلى ٩,٢٪ من السكان، وقفزت إلى ١٨,٥٪ في عام ٢٠٠٧»[3] أي أن نسبة الـ ١٠٪ كانت منذ عقد من الزمان. وهكذا يمكن القياس على ذلك في باقي الدول.

لكن الوضع في الدول الأورثوذكسية يختلف، الارتداد موجود ولكنه قليل. فإذا استبعدنا روسيا بسبب عدم وجود دراسات عن الديانات بها لأسباب سياسية، وأخذنا صربيا واليونان كنموذجين نجد أن الإحصاءات تشير إلى تدني هذه النسبة.

ففي صربيا (٧,٤ ملايين، منهم ٥,٢٪ فقط تشمل من لا يعرف لهم دين)، وفي اليونان (١٠,٧ مليون منهم ٩٨٪ أورثوذكس، و ٠,٠٧٪ فقط للآخرين).

التحول لدين آخر

تشير المعلومات والتقارير إلى أن الإسلام هو الدين الأسرع انتشارا في الغرب، ورغم الإجراءات التي اتخذتها الدول الغربية والمواقف العنصرية ضد المسلمين فإن الإسلام ينتشر. لكن من الملاحظ أن الأمريكيين يعتنقون الإسلام أكثر من الأوربيين، ربما لكون المذهب البروتستانتي أقرب إلى الإسلام من الكاثوليكية والأورثوذكسية، فهو يرفض وجود واسطة بين الإنسان والرب، ويرفض إعطاء الكنائس ورجال الدين أي سلطة متعلقة بالغفران.

وربما كان انتشار الإسلام وتراجع الكاثوليكية في القارة الأوربية هو السبب الذي دفع البابا بندكت السادس عشر إلى أن يبدأ بالتحريض ضد الإسلام والنبي محمد ﷺ في محاضرته الشهيرة في ألمانيا لإثارة العداوات التاريخية وتحريض الغربيين. فالبابا استشهد بمناظرة بين إمبراطور بيزنطي ومسلم فارسي رغم ما بين روما وبيزنطة من عداء وما صدر من حرمان لأسقف القسطنطينية.

(١) الكتاب السنوي للمخابرات الأمريكية ٢٠١٠ fact book.
(٢) لوموند ديبلوماتيك الطبعة العربية، عدد سبتمبر ٢٠٠١.
(٣) مايكل كوربت وجوليا كوربت، الدين والسياسة في الولايات المتحدة، الجزء الثاني، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٢، ص٦٥.

نسبة التحول بين المذاهب النصرانية

من الملاحظ أن التنافس الداخلي بين المذاهب المسيحية لاستقطاب الأتباع لم يتوقف. قام بذلك الكاثوليك مثلهم مثل الأورثوذكس وأيضا البروتستانت الأشد نشاطا الآن. وكان التفوق يعود إلى القدرة العسكرية في البداية، ثم انتقل إلى أساليب أخرى بعد أن أنهكت الحروب كل الأطراف.

لقد «أقدم الأباطرة الرومان المسيحيون على إيقاع الأذى وإنزال الاضطهاد العنيف بالمسيحيين الذين يخالفونهم المذهب. وشهدت الإمبراطورية من فنون التعذيب وقساوته في عصرها المسيحي مع المسيحيين ما لم تعرفه في عصرها الوثني، ليس فقط من جانب النظام السياسي تجاه الناس، بل من جانب رجال الدين الذين يساندهم هذا النظام لمصلحته السياسية، ويساندونه هم لمصالحهم الدنيوية، وإعلاء شأن مذهبهم، ضد إخوانهم الذين يعارضونهم الرأي»[1].

استغل الكاثوليك الحروب الصليبية لكثلكة شعوب أوربية لم تكن اعتنقت النصرانية، وانخرط الأوربيون في حروب لعشرات السنين بين الكاثوليك والبروتستانت، أشهرها حرب الثلاثين عاما. ولازلنا نرى حتى اليوم بقايا هذه الحروب في الصدام في إيرلندا الشمالية بين الكاثوليك والبروتستانت.

استغل الكاثوليك الحروب الصليبية لنشر الكاثوليكية، واستطاعوا أن يضموا موارنة لبنان إلى البابوية رغم خلافهم في قضية المشيئة الواحدة ولازالوا مرتبطين بالفاتيكان حتى اليوم (يرى مارون أن للمسيح طبيعتين ومشيئة واحدة).

الوضع الآن تغير إذ تدور المنافسة بطرق عديدة وبوسائل سلمية، لكن ما يلفت الانتباه أن الإرساليات البروتستانتية خاصة مع هيمنة المذهب سياسيا على الغرب استطاعت أن تقتطع من الكعكة الكاثوليكية وتستقطب الكثير من الكاثوليك خاصة في أمريكا اللاتينية التي كانت تحت سيطرة كاملة للفاتيكان. وتشير الإحصاءات إلى أن نسبة اعتناق البروتستانتية من داخل مسيحيي العالم مرتفعة، في حين تتراجع بالنسبة للكاثوليك وتتراوح بين الضعف والثبات بالنسبة للأورثوذكس. وهذا الصعود البروتستانتي متوقع استمراره نظرا لاستمرار هيمنة الولايات المتحدة وقوة اقتصادها الذي يضخ المزيد لصالح الإرساليات الإنجيلية.

في أول زيارة له إلى بلد أمريكي لاتيني منذ توليه البابوية في أبريل/ نيسان ٢٠٠٥ عبّر البابا بندكت السادس عشر عن قلقه من انخفاض عدد أعضاء الكنيسة الكاثوليكية في المنطقة بشكل كبير، وحسب دراسة جديدة، يتبع ٦٤ بالمئة من البرازيليين حاليا الكنيسة الكاثوليكية مما يعني انخفاضا بنسبة ١٠ بالمئة، وذلك بالتوازي مع ارتفاع ملحوظ في عدد أتباع الكنائس الإنجيلية. وقال بندكت إن «تحول الكاثوليكيين إلى الكنائس الإنجيلية أكبر هاجس لنا، وعلينا إيجاد حل مناسب»[2].

نسبة الانتشار عالميا (التبشير)

حقق الكاثوليك انتشارا واسعا في أفريقيا وأمريكا اللاتينية وآسيا مستغلين الحملات الاستعمارية والانتشار الأوربي في احتلال العالم، ولأن الدول الأوربية الكاثوليكية كانت هي الأكثر عددا وانتشارا فقد أدخلت البابوية الكثير من شعوب البلاد المستعمرة في المسيحية، واستخدمت الوسائل التبشيرية في تنصير أمم عديدة مستغلة الفقر والحاجة.

وبسبب التنافس مع البروتستانت «كسبت الكنيسة الكاثوليكية الرومانية من الأنصار في العالم الجديد أكثر مما سلبهم منها الإصلاح

(١) د. رأفت عبد الحميد، الامبراطورية البيزنطية: العقيدة والسياسة، الجزء الأول، دار قباء، ط١ عام ٢٠٠٠م، القاهرة، ص٥٠.

(٢) الموقع العربي لـ BBC على الإنترنت في ١٠ مايو/ أيار ٢٠٠٧ تحت عنوان (البابا يحث البرازيل على نبذ الاجهاض).

الديني في العالم القديم»[1].

لكن لم ينجح التبشير في قلب العالم الإسلامي، وعجزت الدول الاستعمارية عن تنصير المسلمين رغم استمرار احتلال الدول الإسلامية فترات طويلة، وهذا ما دفع التبشير إلى البحث عن نقاط الضعف والمناطق الرخوة لتنصير أهلها. فالملاحظ أن العدد الضخم للمسيحيين في العالم معظمه خارج أوربا والغرب، وهذا الرقم الكبير الذي يفوق المليارين – حسب التقديرات الغربية المبالغ فيها- معظمه في المناطق التي احتلها الغرب ونهبها ونصّر شعوبها بالضغط والإكراه.

لكن التبشير البروتستانتي الآن متزايد ويستغل النفوذ الأمريكي كغطاء لنشر المذهب البروتستانتي في العالم، بينما التبشير الأورثوذكسي يركز على العمل محليا.

الموقف من الإسلام

تتباين مواقف الكيانات الثلاثة تجاه الإسلام، ففي الدول البروتستانتية يتسم الموقف بأنه حاد ومن النخبة أكثر من الشعوب، فالنخبة تناصب الإسلام العداء وتتوالى التصريحات المعادية للإسلام، وأصبح من المعتاد بروز مواقف معادية لتشويه المسلمين. وبدا هذا في تصريحات الدعاة التلفزيونيين مثل بات روبرتسون وجيري فالويل وسياسيين مثل جون أشكروفت وغيره من المحافظين الجدد.

وتأييد هذه النخب للحرب ضد الإسلام واضح، بل إنهم يحرضون على المزيد. لكن في المقابل فإن الشعوب، في أمريكا أفضل حالا من الأوربيين لا تتخذ ذات الموقف إذ يغلب عليها – إلى حد ما- التسامح مع الإسلام خاصة المحلي، بل إن عدم وجود التأييد الشعبي المعادي للإسلام كثيرا ما يدفع من يسيئون للمسلمين – خاصة في وسائل الإعلام- إلى التراجع، والاعتذار في بعض الأحيان، وإن كان الوضع قد بدأ يتغير إلى حد ما في الأعوام الأخيرة بسبب التحريض الإعلامي.

يختلف الوضع في الدول الكاثوليكية الأوربية، إذ أن الموقف من الإسلام شعبي حاقد، وهذا ناتج عن الميراث التاريخي والثقافي الناتج عن الحروب الصليبية والصدامات مع العثمانيين والحروب في الأندلس مع الشحن الثقافي ضد الإسلام منذ العصور الوسطى.

إن محاربة الإسلام رسميا وبتضافر جماعي، بدأت مع الحروب الصليبية التي شنها البابا أوربان الثاني اليهودي الأصل الذي أعلن قيامها باسم الرب في مجمع كليرمونت عام ١٠٩٥م.

كانت الحروب الصليبية «محاولة من جانب البابا في صراعه مع الإمبراطورية ليمنح نفسه سلطانا على شعوب أوربا وقادتها، من ملوك وأباطرة وأكليروس، ليعيد للعالم المسيحي وحدته.. وتحويل الوطن العربي إلى وطن أوربي، فيما وراء البحار، والعرب إلى لاتين كاثوليك، وذلك عن طريق السيف»[2].

ولم تتوقف محاولات البابوية عن «محاربة الإسلام منذ ذلك الوقت، وإن اختلفت المسميات وتنوعت الأساليب، إلى أن كان المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني عام ١٩٦٥م، فقد أسفر هذا المجمع عن قرارين أساسيين لا سابقة لهما في التاريخ فيما يتعلق بالديانات غير المسيحية، وهما تبرئة اليهود من دم المسيح، وإقرار مبدأ التحاور مع الإسلام لاقتلاعه»[3].

كل هذا جعل الوعي الشعبي مشحونا بالعداء تجاه الإسلام. يضاف إلى هذا طبيعة العقلية الغربية المحبة للصراع والكارهة للآخر التي تجعل الشخص الغربي في عداء مع من حوله. وهذا العداء الشعبي للإسلام هو الذي يدفع قادة الغرب إلى اتخاذ مواقف عدائية على أرضية ثابتة من التأييد الشعبي.

---

(١) ويل ديورانت، مرجع سابق، ص ٢٣١.

(٢) د. زينب عبد العزيز، الفاتيكان والإسلام، دار الكتاب العربي، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٥، ص١٣.

(٣) د. زينب عبد العزيز، المرجع السابق، ص١٤.

أما بالنسبة للدول الأورثوذكسية فإن العداء للإسلام يتخذ موقفا شعبيا، وقد أدى هذا العداء المتعصب في تواريخ سابقة إلى احتلال أراضي المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز.

طبيعة الخصومة مع الإسلام

تتسم كراهية البروتستانت للإسلام بأنها مرتبطة بالمصالح وحب الهيمنة، فالدول البروتستانتية قد تدخل في صداقات مع المسلمين من أجل مصالحها مثل السعودية ودول الخليج، وتخوض حروبا ضد أخرى (أفغانستان والعراق) من أجل استمرار الهيمنة على العالم.

حتى في مواقفها مع الإسلاميين الذين يرفعون الشعارات الإسلامية فإن دولاً مثل أمريكا وبريطانيا لا تتعامل مع الإسلاميين بنمط واحد من التعامل، فهي تحارب الإسلاميين الذين يريدون إقامة دولة إسلامية حقيقية تعيد للإسلام دوره كقائد للأمة، وتتعاون مع الإسلاميين الذين يحققون مصالحها ولا يعادون هيمنتها خارجيا وداخليا.

في المقابل فإن الدول الكاثوليكية تعادي الإسلام وتعمل على تقويضه، ويبدو هذا في معاداة كل ما يتعلق بالإسلام في السياسة والمجتمع، خارجيا وداخليا، ويقود الفاتيكان حملة إخراج المسلمين من دينهم وتصيرهم في إطار المنافسة حول السلطة على العالم.

أما الأورثوذكس فهم الأكثر عداء للإسلام، وتنبع هذه الكراهية من منطلقات عقدية، لكن هذا العداء والتعصب الأورثوذكسي موجه أساسا إلى الإسلام المحلي، ويبدو هذا الموقف المتعصب تجاه الجمهوريات الإسلامية التي تقع داخل روسيا مثل الشيشان والقوقاز والقرم، إذ يرفض الروس إعطاء مسلمي هذه البلاد استقلالهم ويتحملون الاستنزاف الاقتصادي الضخم ويتحملون الخسائر الجسيمة في الأرواح، دون التفريط في هذه البلاد.

❖❖❖

إن دراسة التقسيمات الدينية في الغرب وما يترتب عليها من خلافات تفيد في معرفة التناقضات بين الدول الغربية لوضع استراتيجيات صحيحة تساعدنا في العمل تجاه الاستقلال وإنهاء التبعية، كما أن دراسة الخصوم تساهم في تحجيم العداء، وتفكيك الجبهة المعادية وتحييد الكثير من الدول التي ليس لها مصلحة في العداء.

موسوعة مصطلحات الشيعة (٢٧) والأخيرة

(تتمة حرف الواو + الياء) - خاص بالراصد

هيثم الكسواني(❖)

ولاية الأمة على نفسها

نظرية في الحكم تبناها محمد مهدي شمس الدين، الرئيس السابق للمجلس الشيعي الأعلى في لبنان، وملخصها: «تكريس حق الأمة في اختيار من تشاء لولاية أمرها ولو لم يكن فقيها». وهذه النظرية طرحها شمس الدين في مقابل (ولاية الفقيه) التي تبناها الخميني (انظر أيضاً: ولاية الفقيه).

الولاية التكوينية

ورد عند الشيعة عدة تعريفات لها، منها:

١- «إرادة المعصوم نبياً كان أو وصياً»،

٢- «قدرة تصرف المعصومين (عليهم السلام) في الكون والتكوين، بإذن الله تعالى».

وبناء عليه فإن الشيعة يعتقدون أن أئمتهم يستطيعون التصرف في الكون، ويستدلون على ذلك ببعض المعجزات التي منحها الله سبحانه وتعالى لأنبيائه، مثل إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص على يد عيسى عليه السلام، ومثل تحول عصا موسى عليه السلام إلى ثعبان، ..إلخ. قائلين إنه مادام أن الأئمة أفضل من الأنبياء (حسب معتقد الشيعة) فلا شيء يمنع من أن يكون للأئمة هذه

(❖) باحث أردني.

القدرات وهذه الولاية المطلقة على الكون.

وقد سئل المرجع الشيعي صادق الشيرازي على موقعه الإلكتروني هذا السؤال: «هل يستطيع المعصومون الأربعة عشر سلام الله عليهم التحكّم في الطبيعة كإنزال المطر وبعث الرياح، وهل يدخل ذلك ضمن الولاية التكوينية»؟

فأجاب: «لقد تعرّض القرآن الحكيم إلى بعض الأمور الصادرة من الأنبياء السابقين، مثل إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله مما يندرج ضمن الولاية التكوينية، والمعصومون الأربعة عشر هم أعظم منزلة وأكبر مقاماً عند الله من سائر الأنبياء والأوصياء ولهم من ذلك الحظ الأكبر».

ويجعل الشيعةُ إرادة الله مقيدة أو مقترنة بإرادة المعصوم، كما يتضح ذلك من قول جعفر مرتضى العاملي: «والمراد بالولاية التكوينية: أن إرادة المعصوم نبياً كان أو وصياً هي من مبادئ تحقق الإرادة الإلهية، أي أن الله سبحانه لا يريد إبراء الأكمه والأبرص، إلا إذا أراد ذلك عيسى (عليه السلام)، على سبيل المثال..

فمن جهة أن الإبراء يكون من الله سبحانه.. يصح نسبته إليه سبحانه.. ولأن إرادة عيسى هي من مبادئ ومن موجبات إرادة الله سبحانه، فلا تحصل إلا إذا حصلت قبلها.. يصح أيضاً نسبة نفس ذلك الفعل لعيسى (عليه السلام)».

ولاية الفقيه

نظرية سياسية شيعية حديثة أفسحت المجال لتولي رجال الدين الشيعة الحكم في إيران، وعالجت موضوع غيبة الإمام الثاني عشر عند الشيعة الإمامية، حيث استقر الفقه الشيعي منذ غيبة المهدي المنتظر المزعوم في سنة ٢٦٠هـ على أنه لا شرعية لأية دولة تقوم قبل ظهور المهدي، ولا شرعية لحاكمها، باعتبار أن الدولة والقيادة هي من صلاحيات المهدي.

وكان روح الله الخميني، أولُ مرشد لإيران بعد الثورة، هو أولَ من جسّد (ولاية الفقيه) عملياً، حيث نقل صلاحيات المهدي المنتظر إلى فقهاء الشيعة، معتبراً أنه لا يجوز أن يظل الشيعة في انتظار، لا سيما وأن غيبة المهدي مضى عليها قرون طويلة، وقد تمر قرون أخرى قبل أن يظهر. وبناء عليه فإن فقهاء الشيعة يستطيعون ممارسة صلاحيات المهدي في غيبته.

وقد وضع الخميني تصوره لهذه النظرية في كتابه «الحكومة الإسلامية» قائلاً: «إذا نجح شخص جدير ومتصف بصفتي العلم بالقانون وبالعدالة في إقامة الحكومة، وأصبح له ما كان لرسول الله ﷺ من الولاية بشأن إدارة المجتمع وجبت طاعته على جميع الناس».

ويبين الشيخ الدكتور ناصر القفاري في كتابه «أصول مذهب الشيعة» أن الخميني استند في نظريته إلى أقوال اثنين فقط من علماء الشيعة هما: النراقي (ت ١٢٤٥هـ)، والنائيني (ت ١٣٥٥هـ) وقد ذهبا أن للفقيه جميع ما للإمام من الوظائف والأعمال في مجال الحكم والإدارة والسياسة، يقول د. القفاري: «ولم يذكر الخميني أحداً من شيوخهم نادى بهذه الفكرة قبل هؤلاء، ولو وجد لذكره، لأنه لم يبحث عمّا يبرر مذهبه».

ويعتبر الوليُّ الفقيه صاحب أعلى منصب في إيران، ويسمى أيضا: القائد والمرشد، ويعينه مجلس الخبراء المنتخب والمكون من ٨٦ عضوا من رجال الدين، والمرشد هو صاحب القرار والصلاحيات الكبرى في البلاد.

وتطبيقاً لهذه النظرية، أعطى الدستور الإيراني الذي تمت صياغته بعد الثورة في المادة ١١٠ منه، الولي الفقيه صلاحيات واسعة أهمها:

حق تعيين السياسات العامة للجمهورية والإشراف عليها، وإصدار الأمر بالاستفتاء العام، وقيادة القوات المسلحة، وإعلان الحرب والصلح. كما أعطاه حق عزل رئيس الجمهورية، وتعيين وعزل قادة مجلس صيانة الدستور ومسؤول السلطة القضائية، ورئيس مؤسسة الإذاعة والتلفزيون، ورئيس أركان القيادة المشتركة، وإصدار أحكام العفو والتخفيف عن عقوبات المحكوم عليهم.

ويذهب أستاذ العلوم السياسية بجامعة طهران د. بيزن أيزدي في كتابه «مدخل إلى السياسة الخارجية لجمهورية إيران الإسلامية» إلى أن ما ذكره الخميني عن حدود سلطة المرشد أو الولي الفقيه أوسع مما حدده لها الدستور، حيث اعتبر ولاية الفقيه ولاية مطلقة تسري على جميع أمور المسلمين، مثلها مثل سلطة الوحي المطلقة والكاملة على الطفل القاصر.

والمرشد الحالي لإيران هو علي خامنئي، وقد تولى منصبه هذا عام ١٩٨٩م خلفا للخميني.

«ولدني أبو بكر مرتين»

مقالة مشهورة لجعفر الصادق، سادس الأئمة المعصومين عند الشيعة الإثنى عشرية، وقد وردت في مصادر أهل السنة، إضافة إلى بعض مصادر الشيعة، لأن أبا بكر الصديق، رضي الله عنه، هو جد الصادق من ناحية والدته، أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، زوجة محمد الباقر، وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر.

وفي كتابه «الأسماء والمصاهرات بين أهل البيت والصحابة رضي الله عنهم»، يقول السيد أحمد بن إبراهيم: «.. وقيل بل المُراد بمرّتين: أي مرّة من جهة النسب، ومرة من جهة العلم وتلقيه، فقد أخذ الإمام جعفر الصادق عن شيوخ منهم القاسم بن محمد بن أبي بكر، وهو من أجلاّء فقهاء المدينة، وهو معنى بعيد جداً فيما أرى ولكنه جائز، وقد كان القاسم بن محمد بن أبي بكر من فقهاء المدينة السبعة، وتربى القاسم في حجر عائشة الصديقة وروى عنها وأخذ منها العلم».

ولي أمر المسلمين

لقب يطلقه الإيرانيون والشيعة المؤمنون بولاية الفقيه على مرشد الثورة الإيرانية، علي خامنئي، إيهاما للناس بأن المرشد الإيراني يمثل زعامة المسلمين جميعا، وليس فئة من الشيعة.

وكثيرا ما ترد هذه العبارة في وسائل الإعلام الإيرانية، ومنها موقع خامنئي الرسمي على شبكة الإنترنت، الذي تعلوه عبارة (موقع مكتب سماحة ولي أمر المسلمين آية الله العظمى السيد علي الحسيني الخامنئي).

وفي الموقع نفسه يوجّه له أحد أتباعه سؤالا يقول: «ما هو حكم الجهاد الابتدائي في زمن غيبة الإمام المعصوم (عليه السلام)؟ وهل يجوز للفقيه الجامع للشرائط المبسوط اليد **(ولي أم المسلمين)** الحكم بذلك؟

فجاء جواب خامنئي بما يعزز الاعتقاد بالعبارة السابقة من أن الفقيه الشيعي الذي يعتبرونه نائبا عن إمامهم الغائب هو ولي لأمر المسلمين، حيث أجاب بقوله: «لا يبعد القول بجواز الحكم به للفقيه الجامع للشرائط الذي **يلي أمر المسلمين** إذا رأى أن المصلحة تقتضي ذلك، بل إن هذا القول هو الأقوى».

وينبع الاعتقاد بأن مرشد الثورة الإيرانية هو ولي أمر المسلمين جميعا من نظرية (ولاية الفقيه) التي يعتقد معتنقوها بأنها ولاية مطلقة تسري على جميع أمور المسلمين، مثلها مثل سلطة الوحي المطلقة والكاملة (انظر أيضاً: ولاية الفقيه).

وليد الكعبة

لقب يطلقه الشيعة على علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، الذي يعتبرونه أول أئمتهم المعصومين، ويعود سبب التسمية إلى اعتقادهم بأن عليّاً ولدتْه أمُّه داخل الكعبة، وبأنه لم يولد في البيت أحد سواه قبله ولا بعده.

ومن الشعر الذي قاله الشيعة في ذلك قصيدة للسيد الحميري (١٠٥ – ١٧٣هـ):

وَلَدَتْهُ في حرم الإلهِ وأمنه
والبيت حيث فِناؤُه والمسجدُ

بيضاء طاهرة الثياب كريمة
طابت وطاب وليدُها والمولدُ

في ليلةٍ غابت نحوسُ نجومِها
وبدت مع القمرِ المنيرِ الأسعدُ

ما لُفَّ في خِرَقِ القوابل مِثلُه
إلاّ ابن آمنةَ النبي محمّدُ

وفي أحد البرامج التلفزيونية للشيخ الدكتور طه الدليمي، الباحث المختص في الفكر الشيعي، على قناة وصال الفضائية، يبين أن هذه الولادة ليست منقبة لعلي رضي الله عنه، كما يعتقد الشيعة، إذ كان من المتعارف عليه في ذلك الوقت (في الجاهلية) أن المرأة إذا تعسرت ولادتها فإنهم يُحضرونها إلى الكعبة لتضع مولودها تحت قدمي «هُبل»، أملاً في أن يسهل هذا الصنم ولادتها.

وقد أحاط الشيعة مولد علي رضي الله عنه بالأساطير والغلو، منها قولهم إن ولادته في الكعبة هي منقبة للكعبة وللبيت الحرام، وإن البيت هو الذي تشرف بولادته فيه، ومنها أن الجدار انشق لوالدته فاطمة بنت أسد ودخلت في ضيافة الله ثلاثة أيام!

واعتبر محمد حسين آل كاشف الغطاء في كتابه «جنة المأوى» أن توجه المسلمين نحو الكعبة هو في حقيقته توجّه نحو النور الذي تولّد منها بولادة علي، ويقول: «وفي ولادته رمز آخر أدقّ وأعمق: وهو أن حقيقة التوجه إلى الكعبة هو التوجه إلى ذلك النور المتولّد فيها ولو أن القصد مقصور على محض التوجُّه إلى تلك البنيّة وتلك الأحجار لكان أيضاً نوعاً من عبادة الأصنام (معاذ الله) ولكن التناسب يقضي بأن البدن وهو تُراب يتوجه إلى الكعبة التي هي تُراب، والروح التي هي جوهر مجرّد تتوجّه إلى النور المجرّد».

أما عند السنة فالمشهور أن الذي وُلد في جوف الكعبة هو حكيم بن حزام بن خويلد رضي الله عنه، الذي وُلد قبل عام الفيل بثلاث عشرة سنة، وعاش ستين عاما في الجاهلية، ومثلها في الإسلام، وفيه يقول الإمام ابن كثير، في كتابه «البداية والنهاية»: «وكان من سادات قريش وكرمائهم وأعلمهم بالنسب، وكان كثير الصدقة والبر والعتاقة»، وتوفي سنة ٥٤هـ.

(ي)

يا لثارات الحسين

من الشعارات الطائفية التي يرفعها الشيعة في مواجهة أهل السنة، خاصة في ذكرى استشهاد الحسين بن علي رضي الله عنهما، حيثُ يحمل الشيعةُ السنةَ مسؤولية مقتل الحسين، ويقولون بأن هذا الشعار هو شعار لإمامهم الثاني عشر، المهدي المنتظر، مكتوبٌ على الراية التي يرفعها عند خروجه.

كما يقولون بأن رواياتهم ونصوصهم تؤكد بان ثأر الحسين هو ثأر الله، ولذلك فإنه يقرؤون في (زيارة وارث): السلام عليك يا ثأر الله، وابن ثأره.

اليالوش

ويسمى أيضاً: اليالوشي، وابن يالوش، وابن جالوش، وهو متصوف شيعي من تلاميذ شمس الدين محمد بن مكي العاملي الجزيني، الملقب عند الشيعة بالشهيد الأول (٧٣٤ - ٧٨٦هـ). وفي مقاله «مواجهة الشهيد الثاني للتيارات الفكرية والعقائدية المنحرفة» يبين أحمد ترابي أن اليالوش ادّعى النبوة، وتطرّف في التصوف، وبدأ يستقل عن شيخه، واستطاع أن يجمع حوله الكثير من الأتباع من الشيعة في منطقة جبلية وسط مدينة (الزرارية) في جنوب لبنان.

ويبين ترابي أيضا أن الشهيد الأول أدرك أنه لا مجال لمقاومة اليالوش إلاّ بالمواجهة المسلّحة لكثرة أتباعه، وصعوبة التأثير فيهم ثقافيا، وحماية هؤلاء المستميتة له، وتحصّنهم في منطقة جبلية، وذلك بالاستعانة بقوات الحكومة (السنية) في دمشق، إضافة إلى مشاركة أتباعه الذين سقط منهم المئات في هذه المواجهة المسلحة التي طالت لأيّام عديدة، وانتهت بالقضاء على اليالوش وجماعته.

ويرى الباحث الشيعي أحمد الكاتب في كتابه «تطور الفكر السياسي الشيعي» أن موقف الشهيد الأول من اليالوش شكل انعطافة في الفكر الشيعي الذي كان لا يجيز القتال في ظل غيبة الإمام الثاني عشر عند الشيعة (المهدي المنتظر)، يقول الكاتب:

«وكان الشهيد الأول قد تحالف مع (بيد مرو) الوالي على الشام من قبل (برقوق) السلطان المملوكي في مصر، في محاربة (اليالوش) المتصوف الشيعي المتطرف في الغلو، المنحرف، في النبطية والقضاء عليه، مما يعتبر تطورا في موقف الشهيد الأول من حكم جواز استخدام القوة في عصر الغيبة، حتى وإن أدت إلى إراقة الدماء والقتل، على عكس ما كان قد استقرب في (الدروس) من تفويضهما إلى الإمام (المعصوم) مما يبدو أن الواقع العملي كان يجره ويجر العلماء وعامة الشيعة إلى اتخاذ مواقف حيوية بعيدا عن نظرية (الانتظار) التي كانت تشلهم وتمنعهم من التقدم والعمل».

اليماني

إحدى العلامات التي تسبق ظهور المهدي المنتظر عند الشيعة الإثنى عشرية، وأحد القادة الثلاثة الممهدين

للمهدي (إضافة إلى الخراساني وشعيب بن صالح).

وقد نسب الشيعةُ إلى جعفر الصادق، الذي يعتبرونه سادس أئمتهم المعصومين أنه قال: «وليس في الرايات راية أهدى من راية اليماني، هي راية حق لأنه يدعو إلى صاحبكم، فإذا خرج حرم بيع السلاح على الناس، وإذا خرج اليماني فانهض إليه، فإن رايته راية هدى، ولا يحل لمسلم أن يلتوي عليه فمن فعل ذلك فهو من أهل النار، لأنه يدعو إلى الحق، وإلى صراط مستقيم..».

وفي كتابه «أنت الآن في عصر الظهور» يقول فارس فقيه إن روايات الشيعة تدل على أن اليماني اسمه حسن، واسم أبيه نصر، وأنه من نسل الحسين، وأنه عالم دين، ..إلخ. ويلمح فقيه في الكتاب إلى انطباق مواصفات اليماني على الأمين العام لحزب الله اللبناني، حسن نصر الله، في حين يصرح بانطباق مواصفات الخراساني على مرشد الثورة الإيرانية علي خامنئي، ومواصفات شعيب بن صالح على الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد.

وفي رد لمركز الدراسات التخصصية عن الإمام المهدي والتابع لمكتب المرجع الشيعي علي السيستاني على ما كتبه فارس فقيه، أوضح المركز أنه لا دليل على انطباق مواصفات اليماني على الشخص الذي ألمح إليه فقيه، وأن بعض روايات الشيعة ورد فيها أن اسم اليماني حسين وليس حسن، وأنها وصفت راية اليماني بأنها أهدى الرايات وبالتالي يكون الخراساني تابعا لليماني، وليس كما ذكر فقيه من أن اليماني هو الذي يتبع الخراساني.

اليونسية

يقول فيهم عبد القاهر البغدادي في كتابه «الفرق بين الفرق»: «هؤلاء أتباع يونس بن عبد الرحمن القمي، وكان في الإمامية على مذهب القطعية الذين قطعوا بموت موسى بن جعفر، وأفرط يونس هذا في باب التشبيه فزعم (أن) الله عزوجل يحمله حَمَلَةُ عرشه، وهو أقوى منهم كما أن الكرسي يحمله رجلاه وهو أقوى من رجليه..»

وقد اعتبر محسن الأمين في كتابه «أعيان الشيعة» أن اليونسية أتباع يونس بن عبد الرحمن القمي (إضافة إلى الشيطانية أتباع شيطان الطاق، والهشامية أتباع هشام بن الحكم) ثقات وصحيحو العقيدة، وأنهم إمامية إثنا عشرية.

وختاما:

بنشر هذه الحلقة نكون قد انتهينا بحمد الله من آخر حلقات «موسوعة مصطلحات الشيعة الإثنى عشرية»، سائلين الله عزوجل أن ييسر صدورها في مجلد مستقل. وإنني أرجو من القراء وزوار موقع الراصد الكرام ألاّ يبخلوا علينا بتعليقاتهم وإضافاتهم وتصويباتهم، وأية مصطلحات يرون أننا لم نتناولها في الحلقات السابقة، لتلافيها في الكتاب المستقل.

وجزاكم الله خيرا

المرأة والبيت بين حضارتين

فاطمة عبد الرءوف(*) - خاص بالراصد

تبدو الصورة المثالية لدور ووضعية المرأة في المجتمع الحديث واحدة من أهم الإشكالات المعرفية التي يزدحم بها العصر الحديث، وفي هذا الصدد يمكننا تتبع رؤيتين حضاريتين متباينتين يعتمد كل منهما على نسق فكري مغاير ويعجّ بملايين التطبيقات التي تستلهم النموذج الحضاري وتقترب أو تبتعد عنه في الواقع الحياتي المعاش.

حضارة الكبرياء

أما الحضارة الأولى فهي الحضارة التي لها السبق المادي الذي أورثها الكبرياء في الأرض والتي يرى بعض مفكريها أنه بصعودها لهذا التطور انتهى التاريخ؛ وهي الحضارة الأعلى صوتا بما تملكه من وسائل إعلام جبارة مؤثرة حتى أن إعلامنا في كثير من الأحيان هو صدى لهذا الإعلام الذي يظلل القوة الاقتصادية والعسكرية العاتية التي بلغتها هذه الحضارة.

تبدو المرأة في ظلال الحضارة الغربية وقد اقترب كثيرا الفكر من التطبيق فالمرأة الغربية تمارس المساواة الحرفية فهي تعمل وتنفق على نفسها ولا تهتم كثيرا بأمر الزواج فلا يوجد مانع ديني أو أخلاقي أو مجتمعي يمنعها من الممارسة الجنسية خارج مؤسسة الزواج. هي تستطيع بوسائل منع الحمل الحديثة أن تلغي آثار هذا العبث حتى إذا وصل الأمر إلى الإجهاض فهذا حق مستحدث (حق المرأة في جسدها وما يحتويه) وحتى في البلدان التي لا تزال تمانع في زهق نفس الجنين فالنساء فيها يناضلن

(*) كاتبة مصرية.

وبقوة للحصول على هذا الحق.

وعندما تتزوج وتنجب طفلا فإن الأعلى دخلا هو من سيعود للعمل وقد تكون هي الأعلى دخلا بينما يبقى الزوج لرعاية الرضيع، وحتى عندما تبقى هي لرعايته فإن ذلك لا يتجاوز الستة شهور كحد أقصى.

ببساطة شديدة المرأة الغربية العادية تمارس الواقع التطبيقي لثمار الفلسفة الغربية خاصة الفلسفة النسوية التي أوجدت واقعاً فعلياً عالمياً مطبقاً على أرض الواقع في الغرب ومطبقاً في القوانين والمواثيق في باقي العالم.

بين الفكر والواقع

ربما كان واقع المرأة الغربية لا يتطابق تماما مع الفكر والفلسفة الغربيين ولكنه يقترب منهما اقترابا كثيرا وعلى سبيل المثال فلا يزال أجر المرأة أقل من أجر الرجل، ونسبة تمثيلها في البرلمان أقل بكثير من تمثيله، وهي تتعرض للعنف والاغتصاب، ولكن وعلى الرغم من ذلك كله هناك اقتراب واسع بين الفكر بمختلف أطيافه وبين الواقع المعاش من خلال مبادئ أساسية حاكمة وستظل كلمة سيمون دي بفوار الشهيرة بمثابة قانون اجتماعي غربي مطلوب تصديره للخارج: (إن المرأة لا تُخلق امرأة بل تصبح امرأة، فليس هناك مصير بيولوجي أو نفسي أو اقتصادي يحدد الدور الذي تؤديه أنثى البشر في المجتمع، إن المدنية ككل هي المسؤولة عن إنتاج هذا الكائن الذي يوصف على أنه أنثوي).

ومن ثم فجميع مؤسسات المجتمع الغربي تسعى من أجل الجندرة حيث لا أنثى ولا ذكر فنوعية التعليم واحدة وفُرص العمل متكافئة والحرية مطلقة وليس هناك أعمال أكثر مناسبة للرجال أو أعمال أكثر مناسبة للنساء، فالنساء قد يعملن في الجيش والشرطة، والرجال قد يصبحوا جليسات أطفال.

نحتاج إلى أطفال

والنتيجة أن معدلات النمو السكاني ضئيلة للغاية، فبينما كان عدد السكان في الغرب بالنسبة لعدد سكان العالم في منتصف القرن الماضي ٢٢٪ أصبح الآن ١٥٪ ومن المنتظر أن يصل لـ ٩٪ فقط عام ٢٠٢٥ إذا لم تحدث تغيرات جديدة لدرجة أن بلدا كفرنسا تنشر إعلانات لصور عليها أطفال تكتب تحتها (فرنسا تحتاج إلى أطفال).

معاناة المرأة الغربية

ولكن الشيء المؤكد أن المرأة الغربية لا تشعر بالسعادة أو الأمن النفسي طالما بقيت بعيدة عن بيتها الدافئ ولنأخذ رئيسة شركة بيبسي كولا في أمريكا الشمالية نموذجا، إذ تقول المرأة التي وصلت إلى أعلى المناصب القيادية في شركة بيبسي كولا: إنها عملت مدة اثنتين وعشرين سنة ووصلت إلى الحصول على راتب يقدر بمليوني دولار سنوياً، ولكن كان عليها أن تختار بين الاستمرار في العمل أو العودة إلى البيت وسبب عودتها إلى البيت أنها أم لثلاثة أولاد (في العاشرة والثامنة والسابعة).

وتقول السيدة بارنز: لقد كنت أحترق من جهتين لقد قمت بجهود كبيرة جداً من أجل شركة بيبسي كولا لقد كان لدي جدول مزعج ومتعب، وكنت أحضر موائد العمل من غداء وعشاء. وتضيف إن ترك العمل سيكون مؤلماً ولكني أحتاج أسرتي أكثر)[1].

(أحتاج أسرتي أكثر) هذا هو صوت الفطرة الذي لا يزال موجودا وقويا رغم أنف الفلسفة النسوية وفكر الحداثة والنجاحات المادية والمهنية التي تحققها المرأة.

مراجعات جديدة

وهو ما دفع قادة الفكر والدين في الغرب لمراجعة أفكارهم حول المرأة والأسرة والبيت، تقول الدكتورة أليس فون هيلدابراند أستاذ الفلسفة الأمريكية وهي تتقمص التباين الحاد الذي يدور في عقل المرأة الغربية: (إذا لزمتُ البيت لأعتني بأطفالي فيا لها من مصيبة لأنني لن أصير أبدا رئيسة جمهورية ولن أصير أبدا رئيسة مجلس النواب. ولن أصير أبدا كذا وكذا! فيا لها من أكذوبة.

افترضي إنكِ ستختارين مهنة للعمل بدلا من تربية الأطفال وافترضي إنكِ نجحتِ في الحصول على مهنة محترمة مثل رئيسة مجلس النواب. ولكن ستنتهي المدة المحددة بعد بضع سنوات. فمن سيتحدث عنكِ؟ ومن سيتذكركِ بعد بضع سنين؟ أما إذا كنتِ أماً ففي هذه الحالة سيكون لديكِ عملا دائماً. إن الرابطة التي تربط بين الأم والطفل منذ لحظة الحمل رابطة وثيقة جدا، ويجب علينا كنساء أن نكنز هذه الهبة، إلا أن النساء في الحركة النسوية لوقتنا الحاضر ينظرن بازدراء إلى

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن قصص نساء غربيات فضّلن العودة للبيت عن العمل والنجاح المهني يرجى مراجعة كتاب: صور من حياة المرأة في الغرب للدكتور مازن مطبقاني، وكذلك مقال أقوال واعترافات بخطورة عمل المرأة.

هذه الهبة ويقلن عنها بأنها لا شيء)[1].

مراجعات كثيرة جدا تجري على مستوى الفكر إذن والمتابع لصحف الغرب سيجد الكثير من هذه الكتابات التي قد تكون بداية لنمط حياتي مختلف يعيد للبيت قيمته ويعلي من وضع الأسرة[2].

في ظلال الإسلام

أما الحضارة الأخرى فهي حضارتنا العربية الإسلامية، وهي حضارة يظللها وحي السماء فنحن خير أمة أخرجت للناس بشريعتنا الخاتمة الخالدة .. تلك الشريعة التي تحتوي على نسق قيمي متوازن بمثاليته وواقعيته معا فهو نسق قيمي كلي يربط بين السلوك الإنساني في أدق تفاصيله ورضى الخالق عز وجل فهو الرقيب السميع البصير العليم سبحانه وتعالى.

لقد حظيت الأخلاق الاجتماعية بنصيب كبير من جملة التوجيهات الإسلامية خاصة تلك المتعلقة بالبيت والأسرة، حتى أن الآيات القرآنية تناولت آداب الاستئذان والزيارة والأكل وآليات حل الخلافات الزوجية إذا كانت من طرف الرجل أو من طرف المرأة وكانت سنة النبي ﷺ خير موضّح وشارح ومفصل لهذه الأخلاقيات ثم جاءت اجتهادات الفقهاء والمفكرين الإسلاميين بناء على هذين الأصلين العظيمين فجاء تراثا فكريا عظيما مبشرا باحتلالنا الصدارة الخلقية والاجتماعية بين الأمم والتي ربما كانت البوابة الكبرى لاعتناق الناس لدين الله بمعجزة النسق القيمي المتوازن المتكامل الذي جاء به الإسلام، وهو ما لا يحدث اليوم للأسف الشديد عند قطاعات عديدة خاصة على مستوى أخلاقيات الأسرة، ونستطيع أن نلمح اتجاهات ثلاثة فيما يتعلق بالمرأة والبيت في ظل واقعنا المعاصر.

اتجاهات ثلاثة

الاتجاه الأول: اتجاه جاهلي لا يزال يضرب بجذوره في التربة حتى الآن وهو تيار يحتقر المرأة ويراها في منزلة دنيا. ومنذ أيام بسيطة زرت أماً وضعت طفلة فوجدتُ همّاً وحزنا يغلف الموجودين لدرجة أن الأم ترفض مشاهدة البنت أو حتى إرضاعها من شدة الضيق الذي تشعر به.

ومن الخطأ الكامل تجاهل هذه النظرة الدونية التي لا تزال تشكل جزءاً من الوعي الجمعي لعدد من شرائح المجتمع.

الاتجاه الثاني: رمى نفسه في أحضان الفكر الغربي والحضارة الغربية، تقول إحداهن ساخرة من المرأة الزوجة والأم (وحين تصبح زوجة فإن البيت هو ملاذها ترعى شؤون المنزل والأطفال وتكون تابعة للرجل خاضعة له غير مستقلة ماديا مرتبطة ارتباطا وثيقا بالرجل لا تنفصل عنه فهي لا تعتبر نفسها كيانا مستقلا بل جزءاً من الآخر.

وهذا يحيلنا إلى حقيقة واضحة وجلية أن المرأة هي التي جعلت من نفسها «الآخر»، رضيت بمصيرها المحتوم كزوجة وأم وفرضت عليها تنشئتها الاجتماعية أن تكون «آخرا» مجرد متاع للرجل خادمة مطيعة في بيت زوجها لا تنفك عنه أو تنفصل فهي جزء من الآخر استسلمت فيه لإرادة المجتمع لقيمه ولأعرافه وغدت كيانا في كيان، لم تحاول التمرد مقتنعة من أنها الآخر، لم تحاول الخروج من عباءة الرجل ولم تحاول أن تعبر عن رأيها بحرية خوفا من هجر الرجل لها وخوفا من نظرة المجتمع لها)[3] (٤)، وواضح مدى تأثر الكاتبة بالحضارة الغربية واحتقارها لدور المرأة داخل البيت، وهذا الاتجاه له رموزه من ذوي وذوات الأصوات العالية.

أما الاتجاه الثالث: فهو ذلك الممتد الموصول بالعهد النبوي والصحابة رضي الله عنهم والتابعين وسلف الأمة وهو ذلك الاتجاه الذي يسعى لتجسيد المبادىء والقيم العليا في أرض الواقع على كافة المستويات الحياتية ومنها الأسرة. ليس معنى ذلك انه اتجاه بلا أخطاء ولكن أخطاءه محدودة فردية ليس لها قناع فكري .. هي أخطاء بشرية واردة عند التطبيق ولكن لا يتم الإصرار عليها، وبين أصحاب هذا الاتجاه وحده ينعم الزوج والزوجة والأولاد بسلام البيت ودفئه وجماله.

---

(١) من حوار لها منشور على الشبكة العنكبوتية.

(٢) مثل مقال: هل يمكن أن تصبحي الرابحة دوما، وكتاب الزوجة المستسلمة.

(٣) من مقال للكاتبة البحرينية عائشة الصديقي بعنوان: صراع الذكورة والأنوثة.

الإرهاب القضائي تجاه المسؤولين السنة في العراق

عبد الحميد الكاتب(*) – خاص بالراصد

لم يكن الحكم بإعدام نائب الرئيس العراقي طارق الهاشمي صادماً أو مفاجئاً، فقد أصبحت المؤسسة القضائية في العراق أحد أسلحة «النظام الشيعي الحاكم» لاستهداف وإضعاف العرب السنة، وذلك في إطار رسمي قانوني دستوري يعمل بالتوازي مع النشاط الميليشياوي لأحزاب الحكم وعصابات المسؤولين المتنفذين في الدولة.

وإن كان الحكم بالإعدام قد صدر بحق أكبر مسؤول سني في العراق فبإمكاننا تصور حقيقة نظرة الدولة الشيعية لأبناء السنة (داخل الحكومة وخارجها)، ويتأكد هذا حينما ننظر في عدد ضحايا الإرهاب القضائي الشيعي (قانون مكافحة الإرهاب) من المسؤولين السنة الذي عملوا في ظل الحكم الشيعي الديكتاتوري خلال السنوات الماضية، وقد نالت محافظة ديالى النصيب الأكبر من مذكرات وعمليات الاعتقال بحق المسؤولين السنة وعلى كافة المستويات والمناصب.

وفي مايلي أهم نتائج الإرهاب القضائي الشيعي:

- في آذار ٢٠٠٧ صدرت مذكرة اعتقال بحق النائب عبد الناصر الجنابي بتهمة القيام بأعمال قتل وخطف، وقد فرّ النائب المطلوب من العراق لاحقاً.
- في كانون الأول ٢٠٠٧ اعتقال (مكي) الابن الاصغر لعدنان الدليمي رئيس جبهة التوافق مع أكثر ٤٠ من حرسه الشخصيين بتهمة القيام بأنشطة إرهابية، كما صدرت مذكرة اعتقال بحقه نجله الثاني (منذر).
- في آب ٢٠٠٨ صدر حكم غيابي بإعدام وزير الثقافة أسعد كمال الهاشمي بتهمة قتل نجلي النائب مثال الألوسي.
- وفي آب ٢٠٠٨ أيضاً تم اعتقال حسين الزبيدي رئيس اللجنة الأمنية في المحافظة ورئيس جامعة ديالى نزار الخفاجي كما تم قتل عباس التميمي سكرتير المحافظ في نفس العملية من قبل قوة أمنية خاصة.
- في تشرين الأول عام ٢٠٠٩ أصدرت السلطات القضائية أمراً باعتقال النائبة في البرلمان تيسير المشهداني وزوجها هشام الحيالي (عضو مجلس محافظة ديالى) بتهمة دعم مجموعات إرهابية.
- في تشرين الثاني ٢٠٠٩ تم اعتقال النائب الثاني لمحافظة ديالى محمد صكاع الجبوري بتهمة الإرهاب.
- كانون الأول ٢٠٠٩ تم اعتقال عبد الكريم بديوي مسؤول المجلس المحلي لقضاء الصويرة جنوب بغداد بتهمة الإرهاب.
- في شباط ٢٠١٠ اعتقال عضو مجلس محافظة ديالى نجم رشيد الحربي بسبب جملة من التّهم جميعها تحت المادة (٤/ إرهاب) ليفرج عنه في آب ٢٠١٢.
- في كانون الثاني ٢٠١٠ صدر حكم غيابي بإعدام النائب في البرلمان محمد الدايني بتهمة تفجير كافتيريا البرلمان عام ٢٠٠٧.
- في آذار ٢٠١١ اعتقال اياد العجيلي المعاون الإداري لرئيس جامعة ديالى بتهمة الإرهاب.
- في حزيران ٢٠١١ اعتقال رعد عبد جاسم التميمي رئيس المجلس البلدي لقضاء المقدادية بتهمة الإرهاب.
- في تشرين الثاني ٢٠١١ اعتقال المدير السابق لصحة ديالى الدكتور حوم سهيل الخشالي بتهمة الإرهاب.
- في كانون الثاني ٢٠١٢ تم اعتقال الدكتور رياض العضاض نائب رئيس مجلس محافظة بغداد بتهم دعم أنشطة إرهابية.
- وفي كانون الثاني ٢٠١٢ أيضاً تم اعتقال غضبان الخزرجي معاون محافظة ديالى لشؤون الاستثمار بتهمة الإرهاب، ليتم إطلاق سراحه بعد ٤ أشهر.
- في آذار ٢٠١٢ اعتقال مدير عام كهرباء ديالى محمد حمدي محمود النعيمي بتهمة الإرهاب.
- في أيار ٢٠١٢ اعتقال ليث مصطفى الدليمي عضو مجلس المحافظة بتهمة الانتماء لتنظيم القاعدة ودعم أنشطة إرهابية، وقد أظهرته السلطات الأمنية في مؤتمر صحفي ليدلي باعترافاته فقلب عليهم الطاولة وفضح خفايا السجون وغرف التحقيق الحكومية.
- في أيلول ٢٠١٢ تم اعتقال إسماعيل الجبوري عضو مجلس المحافظة بتهمة الإرهاب.
- كما أصدر القضاء مذكرات اعتقال بتهمة الإرهاب ضد عدد من النواب السنة في القائمة العراقية منهم: عبد الله سليم الجبوري، وعدنان الجنابي، ورعد حميد الدهلكي.

(*) كاتب عراقي.







النفوذ الإيراني الناعم في القارة الإفريقية

أسامة شحادة(*)

هذه الدراسة صدرت ضمن سلسلة (دوليات) التي يصدرها المركز العربي للدراسات الإنسانية بالقاهرة سنة ٢٠١٠، ويقع في ٩٥ صفحة من القطع المتوسط، وقد أعد الدراسة د. السيد عوض عثمان.

تعتبر العلاقات الإيرانية الأفريقية علاقات قديمة لكنها مرت بعدة مراحل، ففي زمن الشاه كانت تلك العلاقات تسخّر لخدمة المصالح السياسية الأمريكية، وبعد ثورة الخميني أصبحت تهدف لنشر فكر الثورة ومقاومة أمريكا ولكنها كانت علاقات فاترة بسبب انشغالات إيران بالحرب مع العراق والتركيز على بُعد تصدير الثورة،

ولكن مع مطلع التسعينيات عادت إيران تحت قيادة رفسنجاني للاهتمام بأفريقيا، حيث أصبح هيكل وزارة الخارجية الإيرانية يضم لجنة لأفريقيا، ثم تطور إلى إيجاد منصب نائب وزير الخارجية لشؤون إفريقيا، وجاءت زيارة الرئيس خاتمي في ٢٠٠٥ لسبع دول أفريقية كثمرة لهذا الاهتمام، ثم تأسست منظمة تطوير التجارة مع الدول العربية والإفريقية، والتي عقدت في ٢٠٠٧ مؤتمراً للتعاون المشترك، وفي ٢٠٠٩ أقامت ندوة تعاون إيران – إفريقيا والتي بلورت خطة لـ ٤٨ مشروعاً مشتركاً، وتعددت زيارات الرئيس نجاد لأفريقيا لتمتين العلاقات وترسيخها بين إيران والدول الأفريقية.

تهدف هذه الدراسة لبيان حجم وانتشار النفوذ الإيراني في إفريقيا، والأدوات التي تمكنت بها إيران من الوصول للنفوذ بسرعة، والتحديات التي تنطوي عليها بالنسبة للأمن القومي العربي، ومستقبل هذا النفوذ.

(*) كاتب وباحث أردني.

كما تسعى الدراسة لفحص عدة تساؤلات هي: هل التشيع نتيجة للمساعدات التنموية (سياسة القوة الناعمة) الإيرانية وليس الهدف المركزي للسياسة الإيرانية في القارة؟ وهل تفرق سياسة إيران بين الدول العربية والإفريقية؟ وهل استفادت إيران من تجربة إسرائيل في اختراق أفريقيا؟

جاء الفصل الأول ليرصد خريطة النفوذ الإيراني في إفريقيا، في ثلاثة مباحث تناولت ثلاث مناطق جغرافية هي: منطقة الحزام الإسلامي في غرب أفريقيا، منطقة شرق إفريقيا وحوض النيل، منطقة الجنوب والشمال الإفريقي.

واستعرض فيها الباحث مسيرة العلاقات الإيرانية مع بلدان كل منطقة على حدة وأن هذه العلاقات تأخذ صبغة سياسية واقتصادية، وأن حرص إيران على القارة الأفريقية هو بهدف كسر الحصار السياسي عليها وإيجاد حلفاء ومناصرين ولو بعدم التصويت ضدها في المحافل الدولية، وأيضاً طمعاً في ثروات ومعادن القارة التي تحتاجها إيران كاليورانيوم مقابل دعم إيران لهم في مجال الصناعات البترولية، ولتمتين العلاقات مع الدول النفطية لمواجهة أطماع المستوردين وأخيراً ليكون لها موطئ قدم على شواطئ البحر الأحمر حتى لا تحاصر إيران.

أما الفصل الثاني والذي كان بعنوان: (مداخل وأدوات وأهداف التغلغل الإيراني في أفريقيا)، فشرح بدايةً تسخير إيران للمساعدات التنموية كنوع من السياسة والدبلوماسية الناعمة في محاكاة للتجربة الإسرائيلية في القارة الإفريقية، ثم انتقل لبيان دور العلاقات التجارية ودبلوماسية النفط في تمرير أهداف إيران في إفريقيا، ثم انتقل لدور الأداة المذهبية الشيعية للتمدد الإيراني في القارة، وبين أن الوجود الشيعي اللبناني قديم وسابق للأطماع الحالية للنظام، فالزعيم الشيعي اللبناني موسى الصدر زار معظم الدول التي بها جاليات شيعية لبنانية سنة ١٩٦٤ وعين فيها إماماً شيعياً يُصرف راتبه من المجلس الشيعي اللبناني، كما ينبه الباحث لزهد إيران في دعوة غير المسلمين في إفريقيا للإسلام واقتصار التبشير الشيعي على المسلمين!!

وفي الفصل الثالث استعرض الباحث مخاطر النفوذ الإيراني في إفريقيا على العالم العربي والإسلامي والذي يتمثل في:

١- اختراق النظم الأمنية والإقليمية بالقرن الأفريقي، حيث تتنافس إسرائيل وإيران على إيجاد موطئ قدم لها حتى تكسر حالة اعتبار البحر الأحمر بحيرة عربية، وبدلاً من أن تكون الدول العربية محاصِرة لإسرائيل وإيران في حالة نشوب حرب، يصبح العالم العربي محاصَراً من قبل إسرائيل وإيران من خلال التحكم بالممرات المائية (مضيق هرمز، مضيق باب المندب)،

فضلاً عن الأطماع الغربية في السيطرة على هذه الممرات لسهولة الوصول لمناطق الصراع في الشرق الأوسط.

٢- إشعال وتفجير الخلاف بين دول المنبع والمصب لحوض النيل، وقد كانت إسرائيل السباقة لإقامة علاقات إستراتيجية مع دول المنبع (إثيوبيا، وإرتيريا، وكينيا، والكونغو) وذلك للضغط على مصر والسودان وتهديد الأمن المائي لهما، إلا أن إيران لحقت بإسرائيل للحصول على حصة من أوراق الضغط على مصر تحديداً في المستقبل بخصوص هذا الملف وللمقايضة بها في ملفات أخرى من خلال نفوذها في تلك الدول.

٣- محاولة تفجير مناطق الأطراف للنظام الإقليمي العربي في إفريقيا، إضافة لما تقوم عليه سياسة إسرائيل من شد الأطراف، فإنها تسعى لتفجير مناطق الأطراف مثل السودان وموريتانيا، وعملت على خلق بذور العداء بين الشعوب العربية والإفريقية بدعاوى دينية وعرقية وثقافية، وبالمقابل تقوم إيران بمجاراة إسرائيل في ذلك للحصول على بعض المكاسب والنفوذ بما يخدم الأجندة الإيرانية.

٤- ضرب المصالح العربية في العمق الإفريقي.

وختم الباحثُ الكتاب بمجموعة من التوصيات بضرورة نبذ سياسة الإهمال والتجاهل للجيران والأشقاء في إفريقيا، وضرورة إيلاء هذه العلاقات مكانة محورية بتخصيص وزارة للشؤون الإفريقية في الحكومات العربية، وتفعيل العلاقات الثقافية والحضارية وعدم البقاء في مربع التجارة البينية، وضرورة ملء الفراغ أمام إسرائيل وإيران وحتى تركيا في القارة.

في النهاية لا بد من بيان ملاحظتين على البحث، هما:

❖ أن البعد الجغرافي عن إيران ومناطق الشيعة والذي كان سبباً في جهل وإغفال الدول العربية الإفريقية للخطر الشيعي والإيراني، أصبح لاغياً مع وصول النفوذ الإيراني الناعم والخشن لحدود بل وداخل كثير من هذه الدول العربية الإفريقية.

❖ أن الكاتب حاول أن يرجح أن المصالح السياسية الإيرانية هي التي مهدت للتمدد الشيعي في هذه الدول الإفريقية، ولكن الصواب أن التمدد الشيعي المذهبي في إفريقيا سبق المصالح الإيرانية لنظام الملالي، فالوجود الشيعي اللبناني والهندي (البهرة-الأغاخانية)، حيث هاجر كثير من شيعة لبنان لدول أفريقيا الخاضعة للاستعمار الفرنسي الذي استعمر لبنان، في حين هاجر كثير من البهرة والأغاخانية للمستعمرات البريطانية في إفريقيا.

وكانت لهم جهود متواصلة لنشر التشيع مهدت لوصول السياسات الإيرانية اليوم، وبالمقابل ساعد النفوذ الإيراني على تضخيم مكاسب التمدد الشيعي في إفريقيا، ويمكن مراجعة تاريخ التشيع في إفريقيا في كتابيْ: التجمعات الشيعية في أفريقيا العربية لأسامة شحادة وهيثم الكسواني، والتشيع في أفريقيا، إصدار مركز نماء.

هذه هي الحقيقة

قالوا: إنه لا بد من المطالبة بإصدار قانون دولي يحرّم الإساءة إلى الأديان والرموز الإسلامية، وأن الدول الغربية دائماً تكيل بمكيالين في قضية الإساءة للأديان فهي تمنع الإساءة لليهود، وفي الوقت ذاته لا تمنع الإساءة إلى الرموز الإسلامية تحت اسم حرية التعبير عن الرأي التي ترعاها الولايات المتحدة الأمريكية.

د.عادل عفيفي، رئيس حزب الأصالة المصري- المصريون ٢٠١٢/٩/١٦

نريد منهم مقاضاة المسيء والإرهابي

قالوا: أوضح بيان صادر عن أقباط المهجر في الولايات المتحدة الأمريكية أن من عملوا الفيلم المسيء للرسول الكريم؛ الغرض منه هو الوقيعة بين نسيج الوطن الواحد «بمسيحييه ومسلميه»؛ لا سيما وأن مصر تمر بظروف عصيبة، داعين كل فئات الشعب للتكاتف من أجل المرور بالبلد إلى بر الأمان.

وقدم بيان أقباط المهجر اعتذارهم الشديد للمسلمين في كافة أنحاء العالم مما قامت به القلة القليلة من إساءة إلى رسول الله الأعظم، معتبرين أن من قام بذلك هي أعمال إرهابية مأجورة تسيء لنفسها فقط، بحسب ما جاء في البيان.

شبكة الإعلام العربية «محيط» ٢٠١٢/٩/١٣

هل سيشمل ذلك إساءات الشيعة لإمهات المؤمنين؟

قالوا: هنا لنا أن نتساءل، أين هي الجامعة العربية؟ وأين هي منظمة المؤتمر الإسلامي؟ وأين هي الشعوب الإسلامية من هذه الإساءات المتكررة؟ فضلاً عن منظمات حقوق الإنسان، والأمم المتحدة المطالبة اليوم بإصدار قوانين تجرم أعمالاً كهذه أسوة بالقوانين التي تجرّم معاداة السامية. ونحن اليوم بحاجة إلى وقفة إسلامية - مسيحية على أعلى المستويات تدفع بهذا الاتجاه.

حزب الله – موقع الحزب ٢٠١٢/٩/١٢

لم يدعموهم لله!!

قالوا: في لقاء مصوّر خاص أجراه موقع «الوطن العربي» مع الدكتور موسى أبو مرزوق، نائب رئيس المكتب السياسي لحركة «حماس»، أكد أن علاقة حركة حماس قد تأزمت بالإدارة الإيرانية بسبب المجازر التي تحدث في سوريا، وشدد على انحياز حماس للشعب السوري ورفضها جميع أشكال القمع والتنكيل والقتل الذي يمارسه نظام الرئيس السوري بشار الأسد ضد شعبه.

الوطن العربي ٢٠١٢/٩/١

لمصلحة من هذا التلميع لإيران؟

قالوا: إن دور إيران كان دورا لا مثيل له في دعم الشعب الفلسطيني خلال السنوات الماضية، ولا أحد يمكنه تجاهل أهمية إيران ومكانتها الهامة في القضية الفلسطينية.

د.محمود الزهار، موقع قناة المنار ٢٠١٢/٩/٦

نصحهم بمنعرج اللوى، ولكن!!

قالوا: وأذكر أنه رحمه الله (د.عمر الأشقر) وبلل بالندى مثواه، أصدر يوم ذاك، وفي وقتٍ كانت فيه الثورة الإيرانية على الشاه محمد رضا بهلوي، قد نجحت نجاحاً باهراً، وعمت الآفاق شهرة واتساعاً، وأخذت بالألباب إجلالا وإكباراً، واكتسحت بالتأييد الإسلامي المغارب والمشارق، ... من أجل لك أصدر آنذاك وبغير قرقعة إخبارية كتيّباً عن هذه الثّورة وفكرها، بعنوان: «لكيلا نُخْدع»، يُنبّه فيها على خطر الفكر الشيعيّ الكبير، ويحذّر من مغبّة امتداده في ديار المسلمين.

وأحفظ حينها جيداً، وقد كنّا – نحن الإخوان المسلمين– من أول المؤيدين لهذه الثورة تأييداً سياسياً، يظهر فيما كانت تصدره الجماعة يومئذٍ من بياناتٍ، وما يقوم به رجالها من خطب ودروس، وتسطّره مجلّتهم (الدّعوة) من تأييدٍ للثّورة وشيوخها، تأييداً نثبت فيه أننا نحن أهل السنة والجماعة وأخصّ الإخوان المسلمين يهمنا تحرير البلاد والعباد من الطغاة والمستبدّين، ونسعى للالتقاء مع غيرنا من المسلمين على الخطوط العريضة، داعين إلى تضييق الفجوة بين أصحاب المذاهب الفكريّة، ولا سيّما أهل السنّة والشّيعة، أجل أحفظ أنّنا يوم ذاك لم نرَ نشر الرّسالة بين الإخوان وسريانها، تحت ذريعة أنّ هذا ليس وقته الآن.

د.علي العتوم –

السبيل الأردنية ٢٠١٢/٨/٢٢

من شابهَ قياداته ما ظلم!

قالوا: كشفت صحيفة «الجمهورية» اللبنانية عن وصول «مجموعة من المخابرات الإيرانية تتكون من ٢٠ عنصراً» إلى بيروت في رمضان الماضي بهدف «إجراء جردة حسابية للأموال التي صُرفت على شبكة الاتصالات السلكية التابعة لـ«حزب الله» على الأراضي اللبنانية.

ونقلت الصحيفة عن مصادر مقربة من الحزب تأكيدها «أن هذه المجموعة تمكنت في الأسبوع الأول من عملها من كشف أكبر عملية اختلاس منظمة يديرها المدير المالي لهذه الشبكات والقيادي في حزب الله حسين ع. فحص و٤ أشخاص» ولفتت إلى «أن حجم الأموال التي اختلست تجاوز ٥ ملايين دولار في أقل من عامين ».

الوطن العربي ٢٠١٢/٩/١٥

جزاء سنمار!

قالوا: أعلن وكيل مؤسسى حزب التحرير الشيعى، أنهم سيشاركون فى تظاهرات ٢٤ أغسطس بكل قوة لإسقاط الرئيس محمد مرسي وحكم جماعة الإخوان المسلمين، وشدد على ضرورة إسقاط حكم الإخوان قبل تنفيذ مخططهم الذى صرح به مهدي عاكف، المرشد السابق للجماعة.

د. أحمد راسم النفيس،

جريدة الوطن المصرية ٢٠١٢/٨/٢٣

الوجه الحقيقي لرهبان البوذية

قالوا: منعت الشرطة البوذيّة في أراكان وبالتحديد في (مانغدو) المصلين من الخروج دفعةً واحدة، وأثناء خروجهم قام الرهبان البوذيون الماغ برمي الحجارة على المسلمين حتى أصيب عدد منهم ...

أعلن بعض الكهنة البوذيين الحربَ المقدسة ضد المسلمين. قام تاجر من جماعة الماغ البوذيين بوضع مكأفاة لمن يغتصب امرأه مسلمة تقدر بحوالي ٣٠٠ ألف كيت، ولمن يقتل مسلما ٥٠٠ ألف كيت.

وكالات



لا تحسبوه شراً لكم

د. ياسر برهامي - جريدة "الفتح" ٢٠١٢/٩/١٤

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد؛

فقد قدَّر الله بحكمته أن يجعل من قلوب بعض بني آدم قلوب شياطين بدلاً من القلب الإنساني تبغض مَن فطر الله قلوب الخلق على محبته من الأنبياء والأولياء، وفي مقدمتهم خاتم النبيين، وسيد الأولين والآخرين، وخير البرية أجمعين: محمد - ﷺ- ؛ ليتحقق من وراء ذالك مصالح عظيمة لا تخطر ببال الكفار المجرمين.

- منها: أن يستخرج الله - عز وجل- من قلوب المؤمنين والمسلمين في الأرض ما تكنه لرسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم- من حب وتعظيم، واستعداد لفدائه بالأبدان والأرواح، والأولاد، والأموال؛ فهو أحب لديهم من أنفسهم وأهليهم وأولادهم.

- ومنها: أن يُظهر الله آيات قدرته في قطع شأن من أبغض النبي - ﷺ - ، وهذا من دلائل نبوته، قال - تعالى- : ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ [الكوثر]. (الأَبْتَرُ) أي: المقطوع. فلا بد أن يذل الله ويصغر من أبغض النبي - ﷺ - .

- ومنها: أن يَظهر لكل عاقل ومنصف عجز الكافرين عن مواجهة الحجة بالحجة، فلا يجدون سبيلاً إلا الكذب والبهتان، والبذاءة والسب، فيعلم كل واحد أن الذين كفروا حجتهم داحضة عند ربهم، وهذا من دلائل نبوته - ﷺ - وأسباب دخول الكافرين في ملته.

- ومنها: أن يجد المؤمنون الأسوة الحسنة لهم فيما يجدون من ألم وطعن، حتى أكرم الخلق عند الله يتعرضون للظلم والطغيان، والكذب عليهم ومحاولة تنفير الناس عنهم، وكل ذالك مآله إلى اضمحلال، قال - تعالى- : ﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾ [فاطر:١٠].

- ومنها: حصول الخير الذي ذكره الله في قوله - تعالى- : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النور: ١١]، فهو زيادة في رفع الدرجات عند الله، ومزيد الحسنات منه - تعالى- .

- ومنها: أن يخيف الله الكافرين والمنافقين، ويلقي الرعب في قلوبهم عند رؤيتهم غضبة المسلمين لنبيهم، وانتشار أن حكم السب والطعن في النبي - ﷺ - وعرضه وأذيته هو القتل، فيعذب الله هؤلاء المجرمين بالخوف والرعب، والهم والغم، وكراهية الناس لهم؛ حتى بني ملتهم بما جرُّوا عليهم من المخاطر وأنواع الفساد، ثم جعل الله ما أنفقوا من الأموال حسرة في

قلوبهم؛ مصداق قوله - تعالى- : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٦].

لعل المسلمين في كل مكان أن يستغلوا هذه الفرصة في الدعوة إلى الله - عز وجل- ، وبيان دلائل نبوته - ﷺ - للناس: مؤمنهم، وكافرهم، ونشر سنته وسيرته، فالقلوب مفتوحة الآن أكثر مما مضى لذلك.

ولكن لا بد هنا من وقفة؛ للتنبيه على أن غضبة المسلمين في كل مكان يجب أن تكون ملتزمة بالشرع حتى في هذا المقام؛ فلا يجوز قتل أو تدمير لمن لم يشارك أو يقر أو يرضى أو يمتدح مثل هذا الفعل الإجرامي، وقتل رسل الكفار عمومًا ولو كانوا مرتدين محرم، قال النبي - ﷺ - لرسولي مسيلمة الكذاب وهما على دينه: (أَمَا وَاللَّهِ لَوْلا أَنَّ الرُّسُلَ لا تُقْتَلُ لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَكُمَا) (رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألباني).

فالدبلوماسيون الأجانب اليوم مثل رسل الكفار قديمًا، وقتلهم غير جائز شرعًا، ولا يجوز أن تتحول صور الاحتجاج إلى معارك بين المحتجين الغاضبين وبين قوات الأمن الوطنية المكلفة بحراسة السفارات، فالدولة لا تملك الآن غير حمايتها وفقًا للمعاهدات التي تلتزم الوفاء بها.

ولعل في هذه الحادثة ما يجمع قلوب المسلمين على حب النبي - ﷺ - وتعظيمه بعد ما فرقتهم أسباب الدنيا.

وعسى أن تكرهوا شيئًا، ويجعل الله فيه خيرًا كثيرًا.

كلمة البابا.. "عظمة بلا مواقف"

عماد الدين أديب - الشرق الأوسط ٢٠١٢/٩/١٦

تابعت بالأمس كلمة البابا بنديكتوس السادس عشر بابا روما، في القصر الجمهوري ببيروت أثناء زيارته الهامة للبنان.

ولا بد لي، مع شديد الاحترام لقداسته، أن أعرب عن خيبة أملي الكبرى في محتوى الكلمة التي ألقاها في تلك الفترة الحرجة والدقيقة التي تمر بها المنطقة وتمر بها العلاقات بين الأديان.

الكلمة في مضمونها وصياغتها لا تعدو أن تكون «عظة أحد» في كنيسة من كنائس الكاثوليك في العالم، تتحدث بشكل عام ومبدئي وأخلاقي وروحاني عن شؤون الحياة.

وقد يسألني سائل إذن ماذا كنت تتوقع؟

أرد قائلا: كنت أتوقع أولا أن تكون رسالة البابا من لبنان لا تقل قوة وحكمة وعمقا عن رسالة سلفه الراحل البابا يوحنا بولس الثاني الذي صك مصطلح «العيش المشترك» في لبنان، وهاجم الطائفية والعنصرية البغيضة، وأعطى تعليمات لقيام الفاتيكان بدراسات موسعة في ملف المصالحة اللبنانية، وأيضا كان ليوحنا بولس الثاني موقف صريح مع المضطهدين في العالم، وعلى رأسهم الشعب الفلسطيني.

ثانيا: كنت أتوقع أن يضيف قداسة البابا سطورا تواكب الحدث الجلل الذي يهز العالم الآن، وهو المظاهرات التي تعم العالمين العربي والإسلامي احتجاجا على الفيلم المسيء للرسول عليه أفضل الصلاة والسلام.

كنا سنقدر لو أدان أرفع رجل دين مسيحي في العالم أي تعريض أو إساءة لأي نبي أو رسول من رسل الله سبحانه وتعالى.

ثالثا: تجاهل البابا من بيروت وهو على بعد عدة

أمتار من دمشق أن يعلن استنكار كنيسته ورفض ضميره الإنساني وحسه الأخلاقي كل هذه المجازر التي تتم ضد المدنيين في سوريا.

رابعا: لم يقدم البابا أي مبادرة حوار عالمية إقليمية للتقارب بين الأديان والمذاهب.

باختصار لم يكن البابا بحاجة إلى السفر والترحل والانتقال من أوروبا إلى الشرق، وكان يمكن أن يلقي هذه «العظة» عبر أجهزة التلفزيون عبر نافذته الشهيرة في الفاتيكان.

وعلى الرغم من حرص البابا على الحديث عن «الشرق» ككل وليس عن لبنان فحسب، فإنه لم يلاحظ الفارق الجوهري بين رؤية سلفه عام ١٩٩٧ والتطورات الجذرية التي يشهدها الشرق عام ٢٠١٢.

رسالة أقرب إلى عظة، وزيارة أقرب إلى بروتوكول، وموقف أقرب إلى تجنب اتخاذ أي موقف!!

أميركا: ارتفاع أعداد الطلاب المسلمين في الجامعات الكاثوليكية

الشرق الأوسط ٢٠١٢/٩/٩

تتساءل مي الحمد، الطالبة القادمة من الكويت من أجل الالتحاق بالجامعة في أميركا، عن كيفية استقبال الأميركيين لمسلمة ترتدي الحجاب معلنة عن هويتها الدينية. وتقول فاطمة البلوشي، طالبة الدراسات العليا من البحرين، إنها عندما فكرت في البداية في الالتحاق بجامعة دايتون الكاثوليكية الرومانية ظنت أن «دراسة المواد الكاثوليكية ستكون إجبارية». وتجلس نعيمة، الطالبة في السنة الأولى، في إحدى الغرف المخصصة للصلاة في الحرم الجامعي في دايتون.

فتاة مسلمة يدها مزينة برسم الحناء، إذا اختارت الالتحاق بأي من الجامعات العلمانية التي لا حصر لها لم تكن ديانتها ستشكل الأهمية ذاتها، على الأقل نظريا. لكنها اختارت ما يبدو أنه سيبرز انتماءها إلى أقلية دينية، فقد التحقت بجامعة دايتون، الكاثوليكية الرومانية، وتقول إن ذلك يناسبها جيدا. وتقول مي الحمد، التي تدرس الهندسة المدنية، وسط عدد من الفتيات المسلمات المجتمعات في مركز الطلاب واللائي يوافقنها الرأي «يتميز الناس هنا بأنهم أكثر تدينا، حتى إن لم يكونوا مسلمين، وهذا يشعرني بالارتياح. أشعر بارتياح أكبر عندما أتحدث مع مسيحيين عن الحديث مع الملحدين».

منذ عقد مضى، كان في جامعة دايتون، التي يبلغ عدد طلاب مراحلها الأولى ودراساتها العليا ١١,٠٠٠ طالب، ١٢ طالبا فقط من دول مسلمة جميعهم من الرجال، كما تقول إيمي أندرسون، مديرة مركز البرامج الدولية في الجامعة. وتضيف أنه في العام الماضي وصل العدد إلى ٧٨ طالبا وطالبة ثلثهم من الفتيات.

وارتفعت أعداد الطلاب القادمين من العالم الإسلامي إلى الجامعات والكليات الأميركية بحدة في الأعوام الأخيرة، وعلى الرغم من أن أعداد الطالبات ما زالت تقل كثيرا عن الطلاب، فإنها أحد أسباب هذا الارتفاع.

لا تتوافر أرقام محددة، ولكن تشير لقاءات مع طلاب وإداريين في عدد من المؤسسات الكاثوليكية إلى تسارع معدل زيادة الأعداد، حيث تضاعف عدد الطلاب المسلمين هناك على مدار العقد الماضي، وشهد عدد الطالبات ارتفاعا إلى ثلاثة أضعاف أو أكثر.

في هذه الجامعات، يقول الطلاب المسلمون من الولايات المتحدة أو الخارج إنهم يفضلون مكانا من المقبول فيه الحديث عن المعتقدات الدينية والالتزام بالسلوك الديني، بل ويتم تشجيعهما اجتماعيا وأكاديميا. ويقول العديد منهم أيضا إنهم يعتقدون أنهم يلقون قبولا أكبر مما يجدونه في الجامعات العلمانية.

تقول مها هارون، التي ولدت في باكستان

ونشأت في الولايات المتحدة، وهي طالبة بالمرحلة التمهيدية في كلية الطب في جامعة كريتون في أوماها «تعجبني حقيقة أن هناك دينا، حتى وإن لم يكن ديني. أشعر هنا باحترام لدیانتي. ليس على أن أترك ديني في المنزل عندما أذهب إلى الجامعة».
وتقول مها وتوأمها زها إنهما اختارتا كريتون إلى حد ما لأسباب تتعلق بهويتهما الدينية، مثل شروط الخدمة المجتمعية والمواد الدينية التي تلقي الضوء على كيفية تناول الأديان المختلفة للقضايا الأخلاقية.

ويقول كثير من الطلاب المسلمين، خاصة الفتيات، إن أحد عوامل وأسباب اختيارهم في الدراسة الجامعية يرجع إلى أن الكليات الكاثوليكية ستكون أقل سماحا للإباحية من الجامعات الأخرى الموجودة في الولايات المتحدة، على الرغم من أن السلوكيات الذي يقولون إنهم يشاهدونها لاحقا تشكك في هذه المقارنة.

يفضل الطلاب المسلمون وجود طوابق مخصصة للفتيات أو الشباب في السكن الجامعي، بل وحتى السكن الخاص بكل جنس في بعض الكليات. تقول شميلة إدريس، الطالبة الباكستانية في جامعة ماريمونت في أرلينغتون، فيرجينيا، التي كانت تقيم في البداية في سكن للفتيات فقط «فكرت في أن هذا سيتناسب أكثر معي وسيكون أكثر محافظة».

التحقت بعض الطالبات بجامعات كاثوليكية بالصدفة - يتزوج بعضهن ويلتحقن بها حيث يوجد أزواجهن، بينما تتجه أخريات إلى كليات محددة بواسطة حكومات دولهن. لكن بالنسبة لآخرين يظل الأمر اختيارا واعيا بناء على نصائح الأصدقاء أو الأقارب، أو الانطباعات التي يشكلونها من النشأة في مناطق مثل لبنان، حيث التقاليد الصارمة في المدارس التابعة للكنائس.
وتقول معظم الكليات إنها لا تسعى تحديدا إلى إلحاق طلاب مسلمين.

يقول القس كايل إيلي، الكاهن ونائب رئيس جامعة فيلانوفا للشؤون الأكاديمية بالقرب من فيلادلفيا «لا توجد جهود متعمدة.. لكنها دعاية عن طريق تناقل الخبر والسمعة الطيبة».

يشير الطلاب المسلمون إلى التجهيزات التي توفرها لهم جامعة دايتون، مثل تخصيص أماكن للصلاة - غرفة صغيرة للاستخدام اليومي، وغرفتين كبيرتين لأيام الجمعة - وإقامة مكان للوضوء. تساعد الجامعة الطلاب أيضا على تنظيم احتفالات بالعيدين، وتتعاقد مع مورد لحم حلال من أجل المناسبات الخاصة. تقول منال الشارخ، الطالبة السعودية التي تلتحق بالدراسات العليا في الهندسة في جامعة دايتون «كنت في جامعة أخرى قبل ذلك، لكنها لم تكن تحترمنا بهذا القدر».

ولكن من الممكن أن يصبح التأقلم على كلية أميركية أمرا صعبا خاصة بالنسبة للطالبات. إنهن يمثلن أقلية حتى بين الأقلية المسلمة من الطلاب. يطبق كثير منهن القيود على التعامل مع غير المحارم، كما يجعل الحجاب الذي يرتدينه من المستحيل عليهن الاندماج مع الآخرين.

تختلف درجة الصدمة الثقافية التي يمر بها الطلاب باختلاف التقاليد التي نشأوا عليها. يتناول بعضهم اللحم غير الحلال الذي يقدم في كافيتريات الجامعة يوميا، ويتناوله البعض بعد التسمية عليه، بينما لا يتناوله آخرون على الإطلاق.

وفي تجمع للمسلمات المولودات في الخارج، يختلف الزي التقليدي كثيرا، من عائشة كايلي، طالبة الدراسات العليا التركية، التي لا ترتدي الحجاب وترتدي سروالا قصيرا وقميصا، إلى الشارخ التي ترتدي عباءة يمتد طولها إلى الأرض فوق ملابسها وحجابا يغطي معظم وجهها. ترتدي معظم الطالبات الحجاب، وملابس غربية محافظة تمتد إلى الكعبين والرسغين، حتى في الطقس الدافئ.

قد تكون إمكانية دخول مؤسسة تُعرف

بأنها مسيحية، لأول مرة في حياتهن غالبا، أمرا يبعث على الخوف.

يقول فلاح غاروت، الطالب السعودي الملتحق بالدراسات العليا في إدارة الأعمال في جامعة خافيير في كنتاكي «كنت أخشى أنهم لن يحبونني لأني مسلم، أو أنهم سيطلبون مني الذهاب إلى الكنيسة. في البداية عندما شاهدت الصلبان في حجرات الدراسة كان الأمر غريبا للغاية».

دائما ما تواجه الطالبات المسلمات على وجه التحديد الأسئلة، حيث تظهر هويتهن من خلال الحجاب الذي يرتدينه. تقول هديل عيسى، الطالبة التي نشأت في الأراضي الفلسطينية والولايات المتحدة «يقف الناس ويطرحون علي الأسئلة عن الحجاب، إذ ينتابهم الفضول بشأن ما أرتديه». كلما ازداد غطاء الملابس التي ترتديها الطالبة ازدادت التساؤلات التي تواجهها عما إذا كانت تشعر بالحرارة في الصيف. كما يستعين الطلاب الذين يخططون لزيارة الشرق الأوسط بالطلاب المسلمين بشأن التقاليد. وأحيانا يسأل المسلمون عن سبب التحاقهم بجامعة كاثوليكية. تقول عيسى «أقول لهم إن الأجواء هنا دافئة وداعمة للغاية. وأشعر بأنني مقبولة هنا وهذا هو المهم».

"البهرة" ومحاولة بعث الدولة الفاطمية!

أسامة شحادة - الغد الأردنية ٢٠١٢/٩/٧

أثار قيام البهرة، بواسطة وكلاء أردنيين، بإنشاء بناية لهم (يزعمون أنها فندق أو شقق مفروشة) في منطقة المزار بمحافظة الكرك، ملاصقة لمنزل زعيم البهرة في العالم قرب مسجد المزار، حفيظة أهل الكرك الذين رفضوا هذا التحول نحو الاستيطان في الكرك، خاصة أن البهرة في السنوات الأخيرة قاموا بالتسلل والاستيطان والتمدد الاقتصادي والسياسي في عدة دول عربية كانت من مناطق نفوذ الدولة الفاطمية الإسماعيلية الشيعية.

البهرة هم مجموعة شيعية هندية، يعدون - والشيعة الآغاخانية (أتباع الآغا خان الرابع كريم بن علي، والذين لهم نفوذ قوي في الأمم المتحدة)- أحفاد وبقايا الدولة الفاطمية الشيعية الإسماعيلية في مصر، والتي قضى عليها صلاح الدين الأيوبي العام ٥٦٧هـ.

وفي نهاية الدولة الفاطمية، انتقل بعض الفاطميين إلى بلاد فارس حيث عرفوا باسم «الحشاشين» بزعامة الحسن بن الصباح، والذين هم أجداد طائفة الآغاخانية التي تسلم كثير من قياداتها مناصب رفيعة في الأمم المتحدة. كما انتقل البعض الآخر إلى اليمن تحت جناح الدولة الصليحية، لكونها نقطة انطلاق الدعوة الإسماعيلية من قارة آسيا إلى أفريقيا. ومن اليمن انتقلت إلى الهند وعُرفوا بالبهرة. وهم اليوم يعودون إلى المنطقة العربية وأماكن نفوذ الدولة الفاطمية الشيعية الإسماعيلية.

ونقطة الخلاف بين فرقة الإسماعيلية الشيعية وبين الشيعة الاثني عشرية التي تنتشر في إيران والعراق، هي أن الإسماعيلية لا تعترف إلا بسبعة أئمة، فيما يؤمن البقية بـ١٢ إماماً. وكان خلف هذا الافتراق شخصيات مجوسية ويهودية، أثرت على مسيرة الإسماعيلية وجعلتها تتجه أكثر نحو الباطنية والغلو وتأليه زعاماتها المعاصرة.

إذ بحسب مراجع الشيعة، فإن مؤسس الإسماعيلية هو رجل زنديق ومنافق اسمه أبو الخطاب الأسدي من الكوفة (قتل العام ١٤٣هـ). وقد أجمع علماء السنة والشيعة على كفره، حتى نقل الشيعة عن جعفر الصادق قوله للمفضل، تلميذ أبي الخطاب: «يا كافر يا مشرك».

وتتميز الإسماعيلية بوصفها تنظيماً سرياً سياسياً ودموياً، أكثر من كونها مذهباً أو فرقة دينية. ولذلك، هم يسقطون أحكام الدين عن كثير من أتباعهم، ويجعلون بدلا منها طقوساً تمجد أئمتهم بوصفهم آلهة! ويعتقدون بوجود رسل

بعد محمد ﷺ ، ويؤمنون ببعض معتقدات الفرس القديمة والأفكار الهندية، وبعضهم اعتنق مذاهب مزدك وزرادشت في الإباحية والشيوعية.

ويمتلك هذا التنظيم السياسي خبرات تنظيمية رهيبة تراكمت منذ ١٣٠٠ سنة! وتقوم على:

١ - السرية؛ ٢- تجنيد الأتباع وكسب ولائهم؛ ٣- الاتصال بأهل الحكم لاستمالتهم والتسلل من خلالهم؛ ٤- بذل المال بسخاء؛ ٥- العنف مع المخالفين وعدم الرحمة؛ ٦- سياسة النفَس الطويل.

ومَن درَس تاريخ الإسماعيلية يتضح له حقيقة الغاية السياسية لهم تحت ستار الدين:

١ - فقد تسللوا إلى البحرين بواسطة حمدان قرمط، وأقاموا لهم دولة عرفت باسم دولة القرامطة العام ٢٨٦هـ، والتي غزت الكعبة، وعطلوا الحج لأول مرة في التاريخ، وقتلوا الحجيج العام ٣١٧هـ، وسرقوا الحجر الأسود مدة ٢٢ سنة.

٢ - تسلل رجلان منهم إلى اليمن، هما علي بن الفضل وابن حوشب العام، ٢٦٨هـ لينشرا الدعوة الإسماعيلية ويقيما لهم دولة فيها. وفعلا، أقاما دولة شيعية في اليمن هناك بعد أن قاما باستمالة القبائل والتغرير بها لنصرة آل البيت كذبا، ومن ثم أعلنا الحرب على الدولة الإسلامية وقاما بحروب وحشية ضد المسلمين في اليمن.

٣ - ومن دولتهم في اليمن، أرسلا داعيتهم أبا عبدالله الشيعي إلى المغرب لإقامة دولة شيعية لهم هناك العام ٢٩٢هـ. وفعلا، أقام لهم الدولة العبيدية الفاطمية العام ٢٩٧هـ، والتي قامت بمجازر وحشية بحق المسلمين الذين رفضوا قبول انحرافاتهم وخرافاتهم.

٥ - وفي العام ٣٥٨هـ، تمكن العبيديون، بعد عدة محاولات عسكرية فاشلة، من السيطرة على مصر بعد مجازر وإبادة لأهل مصر، حيث قاموا بنشر عقائدهم الباطلة ومحاربة المذهب السني والتضييق على علمائه. واستمر سلطانهم حتى زال على يد صلاح الدين الأيوبي العام ٥٦٧هـ.

هذه نماذج من أطماعهم ومخططاتهم السياسية القديمة. أما عن محاولاتهم اليوم للتسلل والعودة إلى مناطق نفوذ الدولة الفاطمية، يساعدهم في ذلك ثراؤهم الفاحش وذكاؤهم التجاري، فنوجزها في النقاط التالية، وهي تطبيق عملي لما ذكرناه من سمات حركتهم السرية والتنظيمية:

مصر: قام سلطان البهرة الواحد والخمسين طاهر سيف الدين العام ١٩٣٧م بزيارة مصر لبدء مخطط التسلل. ونجح بالتواصل مع حكومة مصر آنذاك، والتي أهدته ٣٩ قطعة أثرية فاطمية.

وفي العام ١٩٦٠م التقى مع جمال عبدالناصر في الهند، وتبع ذلك تبرع البهرة بقبب ذهبية لقبور آل البيت المزعومة في مصر، مثل مقام السيدة زينب والإمام الحسين. ثم أوفد سيف الدين ابنَه محمد برهان الدين، السلطان الحالي، إلى القاهرة العام ١٩٦٦م لتفقد وضع القبب، فكرمته الحكومة ومنحته جامعة القاهرة الدكتوراه الفخرية.

وفي زمن الرئيس السادات في العام ١٩٧٩م، طلب البهرة ترميم جامع الحاكم بأمر الله وإدارته، وإنشاء مؤسسة جامعية خاصة بهم. فسُمح لهم بترميم الجامع، لكنهم تجاوزوا في الترميم وزادوا مساحته واعتدوا على المقبرة المجاورة، وأضافوا شققاً للسكن خاصة بهم داخل المسجد. وقد اشتروا ما يزيد على ٧٥ ٪ من عقارات منطقة الحسين والجمالية والدرب الأحمر والدراسة والأزهر بأسعار مضاعفة، قدرت بـ١٠٠ مليون دولار، لتكون المنطقة خاصة بهم! ومع الأيام، سيطروا على عدد من المساجد الفاطمية في القاهرة، مثل: الأقمر واللؤلؤة والأنوار والجيوشي.

ويقدر عدد البهرة في مصر بـ٢٠ ألف شخص، يعملون في التجارة غالباً. وهم من الأثرياء وأصحاب المصانع، ويقطنون أحياء الحسين والجمالية والمهندسين، ويملكون فندقا خاصا بهم

في منطقة الدراسة يسمى «دار الفيض الحاكمي». وقد عقدوا لقاء مع سكرتير السفير الأميركي بالقاهرة في نهاية العام ٢٠١١.

اليمن: لهم تواجد يقدر بـ١٥ ألفاً في مناطق: حراز وصنعاء وعدن وتعز والحديدة. ولهم في بعض المدن مساجد مستقلة وسرية. ولهم مدارس خاصة بهم، كالمدرسة البهرية في صنعاء والتي لها عدة فروع.

وهم على علاقة وطيدة مع الحزب الاشتراكي اليمني، كما أن لهم تنظيمات غير رسمية مثل حزب «الفيض الحاتمي» وجناحه العسكري «شباب أهل الجنة»، والذي له صلات وثيقة بإسرائيل وزيارات لها. وهم يسعون إلى تجنيس أعداد كبيرة من أتباعهم الهنود بالجنسية اليمنية، وإرسال أولاد اليمنيين إلى الهند للتعلم والزواج من الهنديات. وقد نجح بعض أتباعهم في الانتخابات البلدية.

البحرين: يقدر عدد البهرة بسبعمائة شخص، ولهم «جمعية البهرة الإسلامية» التي تأسست العام ١٩٨٥م، وأعيد تسجيلها في مطلع التسعينيات، ومقرها في مسجدهم بالمنامة. وقد وضع سلطان البهرة العام ١٩٧٨ حجر الأساس للمسجد، وبجواره مقبرة خاصة بهم.

فلسطين: في العام ١٩٩٤، طلب البهرة من السلطة الفلسطينية السماح لهم بتطوير ضريح هاشم بن عبد مناف في مدينة غزة! وهاشم بن عبد مناف مشرك وليس بمسلم، مما يؤكد أنهم يبحثون عن «مسمار جحا» للتسلل إلى المنطقة (الأردن وفلسطين). وقد أنفقوا لهذا الغرض نحو ٣٠ ألف دولار بين العامين ١٩٩٩- ٢٠٠٠. وخلال هذه الفترة، كانت تأتي وفود حجيج البهرة تترى عبر رحلات سياحية تضم الرجال والنساء والأطفال، وتقوم بممارسة طقوس وعبادات غريبة، منها الدوران حول القبر، والتمسح بالجدران، وإيقاد الشموع.

الأردن: لزعيم البهرة، محمد برهان الدين، منزل في مدينة الكرك بجوار قبر جعفر الطيار رضي الله عنه، منذ أكثر من ١٥ سنة. وكان قد أهدى مقام جعفر قبة للضريح العام ١٩٩٦. والحقيقة أن جعفر بن أبي طالب، رضي الله عنه، ليس له علاقة لا بالشيعة ولا بالبهرة، فقد استشهد في معركة مؤتة العام ٨هـ، والشيعة لم تظهر إلا في منتصف خلافة علي رضي الله عنه بعد العام ٣٦هـ! ولكنه «مسمار جحا» للتسلل والتغلغل في مناطق نفوذ الدولة الفاطمية، في محاولة لإعادة التاريخ من جديد بقيامها!

الزهار التحرك المفاجئ

محمد برهومة - الغد ٢٠١٢/٩/١٥

يقال إن القيادي البارز في حركة «حماس» محمود الزهار، يتبنى موقفا مختلفا عن موقف معظم قيادات «حماس» تجاه الثورة السورية؛ إذ يرى أن أقصى حدّ يمكن أن يطالب به هو إصلاح النظام السوري، وليس إسقاطه أو تغييره. وإذا صح هذا الأمر، فإنه قد يكون مدخلا لفهم أو مقاربة الزيارة التي قام بها الزهار قبل أيام إلى طهران. الزيارة كانت غامضة ومفاجئة، وما تزال مفتوحة على تفسيرات عديدة.

الزهار التقى في طهران الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد، ورئيس البرلمان علي لاريجاني، والرئيس الأعلى لمجلس الأمن القومي سعيد جليلي، ما يؤشر إلى أن الزيارة تعدت الجانب السياسي إلى الجانب الأمني، وهي بذلك زيارة مهمة. وقد احتفى الإعلام الإيراني بنشر صور الزائر الحمساوي مع المسؤولين الإيرانيين. وهذا الكلام يتعارض، بالطبع، مع ما نقله موقع «ديبكا» القريب من الاستخبارات الإسرائيلية، والذي وصف الزيارة بأنها باردة، وأن الزهار أخفق في إقناع الإيرانيين بأن «حماس» لم تتغير.

زيارة الزهار الغامضة جاءت بعد فترة تباعد وبرود بين «حماس» وإيران على خلفية اختلاف

موقفيهما من الثورة السورية، كما أنها جاءت بعد اعتذار رئيس حكومة «حماس» المقالة إسماعيل هنية، عن حضور مؤتمر «عدم الانحياز» الذي انعقد نهاية الشهر الماضي في طهران. ولم يكن بلا دلالات تأكيد إيران رسميا أن هنية غير مدعوّ لحضور القمة! كما أن زيارة الزهار أتت بعد غياب رئيس المكتب السياسي لـ«حماس» عن حضور فعاليات «يوم القدس العالمي» في إيران لهذا العام، والتي تقام سنويا أواخر شهر رمضان.

الثورات العربية أعادت من جديد تشكيل التحالفات في المنطقة، و«حماس» جزء من هذا التغيير. وقد اجتازت الحركة السقوط في منزلق سياسي صعب، من خلال عدم دعمها للنظام السوري في قمعه الدموي للمطالب الشعبية بالتغيير. من هنا تتوالى الأسئلة بشأن مدى وحدة موقف الحركة من الثورة السورية في ظل زيارة الزهار إلى طهران، بعد أن كان قد توقف قبل وصوله إلى طهران في لبنان، والتقى هناك أمين عام حزب الله حسن نصرالله. والأسئلة تتناول أيضا حدود الالتباس والمناورة اللذين يمكن للحركة أن تمارسهما بقصد أو بدون قصد، لاسيما في ظل موقف مصري- إخواني عام عبّر عنه الرئيس المصري محمد مرسي في زيارته التاريخية إلى طهران، حين قال إن الشعبين الفلسطيني والسوري يناضلان من أجل الكرامة والحرية، وهي مساواة مقصودة وتستهدف تفكيك دعاية «الممانعة» التي تتحدث عن مؤامرة على القضية الفلسطينية تمر عبر التآمر على النظام السوري!

لا أدري إلى أيّ حد يمكن أن تتيح لنا لقاءات الزهار الأخيرة بقيادة حزب الله وبالمسؤولين الإيرانيين التساؤل حول حقيقة تموضع «حماس» من التحولات العميقة والصراعات المحتدمة في المنطقة، ومدى جدية الكلام عن توسيع فرجار المناورة لدى الحركة عبر صياغة شبكة جديدة من التحالفات مع مصر والأردن ودول الخليج العربية.

منذ نحو عام، تعد زيارة الزهار هي الثانية إلى طهران، والتي لم يزرها من قيادات «حماس» في هذه الفترة سوى هنية، في شباط (فبراير) الماضي مشاركا في احتفالات إيران بالذكرى الـ ٣٣ لانتصار الثورة.

استشراف أي شكل لعلاقة جديدة بين «حماس» وإيران لن يكون بمعزل عن استشراف آفاق العلاقات المصرية- الإيرانية، ومقاربة مآلات الثورة السورية. ومن هنا، قد تبدو مكاسب الغموض في هكذا بيئة سياسية أكبر وزناً، ربما، من مغامرة المواقف المحددة. وهو تكتيك قد تمارسه «حماس» اليوم، غير أنه لا يعفيها من الأسئلة الكثيرة التي ترغب في فك الالتباس عن طبيعة تموضع الحركة حيال المعادلات الجديدة في المنطقة.

إسرائيل وإيران: حلف أبدي

عنار شملو - هآرتس - نقلاً عن الغد الأردنية ٢٠١٢/٨/٢٧

إيران محتاجة إلى إسرائيل. إيران محتاجة إلى إسرائيل بصورة يائسة. فلولا وجود إسرائيل لاحتاجت إيران إلى ايجادها. فإسرائيل هي ترياق النظام الإيراني، التي يجب ان تُشترى، فهو باقٍ بفضلها منذ سنين طويلة.

إن الخطابة المعادية لإسرائيل تُمكّن النظام الملالي القاسي من صرف انتباه الجماهير عن مشكلاتهم الحقيقية وعن أزمتهم الاقتصادية وعن غلاء المعيشة الذي يرتفع إلى مستويات لا تحتمل. وعن القمع السياسي وقتل المتظاهرين، وعن عدم وجود حرية.

كانت الكراهية دائما قوة موجِّهة، فلا يوجد كالعدو الخارجي المُشبه بالشيطان لاسكات التوترات الداخلية. ان اختيار عدو أهم كثيرا من اختيار صديق، كما كتب نيتشة. وقد نجحت

إيران في ذلك أكثر من المتوقع.

وتساعد إسرائيل إيران، فهي تهددها. والتهديدات بهجوم قريب هي زيت في اطارات نظام الملالي المتعثر. وهي طوق نجاة تطرحه القيادة الإسرائيلية لإيران في آخر لحظة. فالقوى الإصلاحية التي هددت النظام قبل ثلاث سنوات طالبة الحرية والانتخابات النزيهة ستتحد حوله في حال هجوم إسرائيلي.

يخدم نتنياهو وباراك مصلحة خامنئي واحمدي نجاد. وهما يتقنعان بقناع المعتدي الذي يساعد على تشبيه إسرائيل بالشيطان في إيران، ويسهل الآن ان تُعرف إسرائيل بأنها ورم سرطاني في الشرق الاوسط. وسيقتنع المتشككون أيضا. وحتى لو كان الحديث عن تهديدات باطلة من قبل إسرائيل فانها قد أفادت النظام الإيراني الذي امتاز باختيار عدو يخدمه خدمة صادقة.

يستحق الشعب الإيراني قيادة اخرى وسيحصل على قيادة اخرى. فالثورات الاقليمية ستبلغ إلى طهران ايضا، وآنئذ سيهمنا حصول إيران على القدرة الذرية كما همنا حصول الهند عليها.

وإسرائيل محتاجة إلى إيران. إسرائيل محتاجة إلى إيران بصورة يائسة. فلولا وجود إيران لوجب على إسرائيل ان توجدها. وإيران ترياق للقيادة الإسرائيلية الحالية يجب ان تُشكر، فهي ما تزال في السلطة بفضلها.

كانت الكراهية والتخويف دائما نظامي سيطرة ناجعين، ولا سيما بالنسبة لحكومات اليمين. فالخطابة المعادية لإيران تُمكّن نتنياهو من الضرب على أوتار المحرقة وصرف انتباهنا عن مشكلاتنا الحقيقية. عن الازمة الاقتصادية وعن غلاء المعيشة الذي يرتفع إلى مستويات لا تحتمل. وعن الخدمات العامة المنهارة. وعن الاستثمارات الضخمة في المستوطنين والحريديين.

وتساعد إيران إسرائيل، فهي تهددها. وهذه التهديدات زيت في اطارات حكومة نتنياهو المتعثرة تنقض عليها كأنها تجد غنيمة كبيرة. ان غيوم الحرب التي أنتجها باراك ونتنياهو والتي تلوث جونا على الدوام من بدء الشتاء الاخير إلى نهاية الصيف، قد نجحت في خنق الاحتجاج الاجتماعي الواسع جدا الذي كان تهديدا حقيقيا للحكومة.

ان طلب السكن في متناول اليد، والعدالة الاجتماعية والخدمة العامة المدعومة والتي تؤدي عملها قد أصبح مثل ثلج العام الماضي بإزاء تهديد الصواريخ والقنبلة الذرية. وقد حل محل الخطاب المدني والنسوي النادر جدا عندنا خطاب أمني مؤمن بالقوة ورجولي، مرة اخرى، والحال عندنا كالحال في إيران، فالأمور تتقدم بحسب ما يرى الفقهاء. فمن الحقائق ان الحاخام عوفاديا يوسف قد جاءه رئيس مجلس الأمن القومي يعقوب عميدرور في المدة الاخيرة مرشدا موجها وبقي ان يجد فتوى تُسوغ الحرب.

تستحق إسرائيل قيادة اخرى وستحصل على قيادة اخرى، والمسألة مسألة وقت فقط. وفي الاثناء ينشغل قادة إسرائيل وإيران الفاشلون بلعبة معقدة تبدو مثل معركة شديدة بالسكاكين. لكن النظر من قريب يُبين أنها ليست معركة بل هي رقصة تانغو. انه حلف أبدي بين نظامين أكل الدهر عليهما وشرب يدينان ببقائهما بعضهما لبعض.

إيران تنقل الأزمة السورية إلى الداخل التركي

فؤاد فرحاوي - الشرق الأوسط ٢٠١٢/٩/١٥

عندما انطلقت الأحداث في سوريا، أدلى رئيس الوزراء التركي أردوغان بتصريح قال فيه إن «الأزمة السورية شأن تركي داخلي»، وهو ما أثار استفزازا لدى سياسيين ومراقبين عرب، بل منهم من ذهب إلى الاستدلال به بوصفه تعبيرا حقيقيا عن «النوايا الهيمنية» لأنقرة في المنطقة العربية. وحاول الأتراك في ما بعد تفادي هذه التفسيرات بالإشارة إلى أن طول حدود الدولتين يفرض تحديا للأمن القومي التركي.

وفي الواقع، فإن الزيارات المكوكية التي قام

بها أوغلو وزير الخارجية التركي إلى سوريا، والإلحاح الشديد على ضرورة إجراء إصلاحات فورية، لم تكن إلا تعبيرا عن مخاوف أكبر لم يصرح بها الساسة الأتراك آنذاك. ومع تسارع الأحداث وتعقد الأزمة بدأت تظهر آثار الأزمة السورية على الداخل التركي سواء من الناحية الأمنية أو السياسية أو الاقتصادية، وذلك بالتوازي مع اصطدام المقاربات الإقليمية للأزمة، لا سيما مع إيران وروسيا وعراق المالكي.

قبل أن يقوم وزير الخارجية الإيراني علي أكبر صالحي بزيارته المفاجئة إلى أنقرة، بداية أغسطس (آب) الماضي، أصدرت الخارجية التركية بيانا نددت فيه بتصريحات مسؤولين عسكريين ضد أنقرة. وكان رئيس الأركان الإيراني حسن فيروز أبادي قد اتهم تركيا ودولا خليجية بتسليح المعارضة السورية، وما دامت أنقرة - حسب اتهامه - قد قبلت بهذا الأسلوب فإن «عليهم أن يدركوا أنه بعد سوريا سيحين دور تركيا ودول أخرى». هذا التصريح وتصريحات مسؤولين آخرين اعتبرتها تركيا تهديدا مباشرا لها، وأن طهران تعمل على إثارة القلاقل داخل تركيا.

وفي خضم هذا الجدل والاتهامات المتبادلة بين البلدين حول الملف السوري، حدثت تطورات أمنية خطيرة في تركيا، إذ ألقت سلطات الأمن التركية بداية هذا الشهر القبض على مجموعة كردية تعمل لصالح إيران. واتهمت المجموعة بتزويد إيران بإحداثيات ومعلومات عن الجيش والمؤسسات التركية. وفي الشهر نفسه، شهدت محافظة شيرناق الواقعة على الحدود العراقية - التركية وغير البعيدة عن الحدود مع إيران، هجوما لحزب العمال الكردستاني أدى إلى مقتل ١٠ جنود أتراك. وخلال عطلة عيد الفطر تعرضت محافظة غازي عنتاب القريبة من سوريا لانفجار بسيارة مفخخة أودى بحياة تسعة مدنيين.

هذه التطورات الأمنية وغيرها أكدت الشكوك لدى صانعي القرار ومتتبعي شأن المنطقة بأن إيران وسوريا تقفان بصفة مباشرة وراء الهجمات الأخيرة. وفي تصريح لنائب أردوغان بكير بوزداغ، لوكالة أنباء «الأناضول»، أشار إلى أن «هناك بعض الأطراف الداخلية والخارجية تحاول إضعاف تركيا وهز أمنها».

وفي الواقع، فإنه بعد اشتداد الضغط على بشار الأسد، وسقوط ٤٨ شخصا من الحرس الثوري الإيراني في قبضة الجيش السوري الحر، اقتنعت إيران بضرورة اتخاذ خطوات أكثر تصعيدا مع أنقرة، وذلك لإجبارها على تغيير مواقفها المعارضة للأسد ومصالح طهران. وكانت هذه الخطوات كما تدل عليه تطورات الأحداث تتم في تنسيق مع الأسد وأطراف عراقية وتعاون مع حزب العمال الكردستاني. ومن هنا كان انسحاب القوات النظامية من شمال سوريا، وتركها في أيدي أكراد سوريا، جزءا من هذا التصعيد. وبعد هذا الإجراء لوحظ مدى انزعاج سلطات أنقرة من إمكانية أن يتحول شمال سوريا إلى قاعدة خلفية لـ«العمال الكردستاني»، وهو ما حدا بها إلى دعوتها لضرورة إنشاء منطقة آمنة داخل الأراضي السورية لإيواء اللاجئين، وفي الوقت نفسه للحيلولة دون استغلال فراغ السلطة ضد أمنها القومي.

اتخذت الأزمة السورية مظهرا من مظاهر التجاذب السياسي الداخلي بين الحكومة التركية والمعارضة. ويشن زعيم حزب الشعب الجمهوري المعارض كيريشتار أوغلو، حملة إعلامية وسياسية ضد الحكومة، متهما إياها بالتسرع في إظهار تركيا كدولة قادرة على التدخل وحسم الأزمة السورية. هذا على الرغم من أن زعماء آخرين في الحزب استغربوا تجنب زعيمهم إدانة نظام بشار الأسد بسبب المجازر التي يقوم بها.

البعض يرى في تركيا أن مواقف المعارضة من الأزمة السورية تحكمها اعتبارات لها صلة بالصراع السياسي على السلطة، وأن الهدف

الأساسي من إثارة الموضوع إعلاميا وسياسيا هو خلق مشاعر قلق لدى الرأي العام التركي تجاه الحكومة. ونتيجة لتصاعد هجمات حزب العمال الكردستاني في الفترة الأخيرة، دعا حزب الشعب الجمهوري إلى عقد جلسة خاصة في البرلمان لمناقشة الوضع الأمني وأثر الأزمة السورية على تركيا، إلا أن حزب العدالة والتنمية الحاكم رفض هذه الدعوة. وشكل عدم اكتمال النصاب القانوني للجلسة انتكاسة للمعارضة، وأظهرها ذلك أمام الرأي العام عاجزة عن توجيه النقاش ضد الحكومة عبر الملف السوري.

وتشكل الورقة العلوية أيضا أحد الملفات التي يعتقد النظام السوري وحزب العمال الكردستاني وإيران أنهم قادرون على توظيفها لإرباك الساحة السياسية والأمنية الداخلية في تركيا. وتمت المراهنة على سياسة الحكومة من الأزمة السورية لخلق قلق لدى جمهور هذه الطائفة. وفي هذا السياق، لوحظ أن بعض العلويين الأتراك قاموا في السابق بمظاهرات مؤيدة لبشار الأسد، كما يعتزم حزب الشعب الجمهوري تنظيم مظاهرات في ١٥ الشهر الحالي ترفض ضمنيا وجود اللاجئين السوريين على الأراضي التركية بحجة رفض الحرب في المنطقة، وهو ما أثار المخاوف من احتمال أن تؤدي الأزمة السورية إلى فتنة طائفية داخل تركيا.

إن توظيف الورقة العلوية في سياق الأحداث السورية له أبعاد مرتبطة بتاريخ الصراع الحزبي في تركيا، إذ شكل أتباع الطائفة العلوية القاعدة الانتخابية والجماهيرية للأحزاب اليسارية، خاصة حزب الشعب الجمهوري، بل إن جل قيادات هذا الحزب الآن هم من أبناء الطائفة. وبمجيء الحكومة الحالية وترشح بعض العلويين باسم حزب العدالة والتنمية فيها، بالإضافة إلى سعيها لحل مشاكل العلويين، فإنها طرحت تحديا سياسيا لحزب الشعب الجمهوري المعارض نتيجة خوفه من أن تسحب منه الحكومة «الورقة العلوية» وتوظفها انتخابيا. وحزب العمال الكردستاني الذي يقال إن زعيمه عبد الله أوجلان ينتمي إلى الطائفة العلوية، مدرك لهذه التناقضات. ومع التقاء حسابات الحزب مع حسابات إيران وأهداف أخرى، قام الشهر الماضي باختطاف حسين آيغون عن حزب الشعب الجمهوري المعارض، لكن سرعان ما تم إطلاق سراحه. والمفارقة أن النائب المختطف هو من الأكراد العلويين، ولو لم يتم إطلاق سراحه لتحولت قضيته إلى سجال سياسي كبير، لكن يبدو أن المعنيين أدركوا خطورة اللعب بهذه الورقة في هذه المرحلة.

الأزمة السورية والتوظيف الإيراني لها ألقيا بظلالهما على التطور الاقتصادي في تركيا. وكجزء من الجهود لحل المشكلة الكردية، تم الاعتماد على المقاربة الاقتصادية عبر خلق نشاط اقتصادي ومشاريع تنموية في المناطق الكردية. وفي هذا الإطار جاء الانفتاح الاقتصادي التركي على العراق وسوريا وإيران، وذلك لخلق دينامية اقتصادية توفر فرص العمل للشباب، ومن ثم سحب البساط من «العمال الكردستاني» الذي كان يوظف ورقة الفقر والبطالة لاستقطاب الأنصار. ومع اشتداد الأزمة السورية تراجعت الحركة الاقتصادية في المناطق الحدودية، وقامت طهران بالضغط على حليفها في بغداد نور المالكي وتوظيف القواعد الخلفية لـ«الكردستاني» في العراق بهدف عرقلة المواصلات والمشاريع الاقتصادية التركية في العراق.

والخلاصة أن الأزمة السورية بقدر ما خلقت إشكالا للسياسة الخارجية التركية، فإنها انعكست على الوضع الداخلي على مختلف الأصعدة. ومن ثم فإن مستقبل نجاح الحكومة التركية مرتبط بمدى قدرتها على كبح انعكاس الأحداث السورية على تطلعاتها الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية، سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي.

❖ باحث في منظمة البحوث الاستراتيجية الدولية (أوساك) - أنقرة

طهران وقمة "عدم" الانحياز.. مكاسب أو خسائر؟

محمد بن صقر السلمي - مجلة المجلة ٢٠١٢/٩/٦

سقطات نظام

كانت قمة حركة عدم الانحياز في أواخر شهر اغسطس المنصرم تمثل حدثا هاما لإيران وقادتها، كيف لا وطهران تحتضن ممثلي أعضاء هذه الحركة لمدة يومين كاملين. قامت إيران، على المستوى الرسمي والإعلامي، بالتحضير جيدا لهذا الحدث الكبير واعتبرته فرصة ذهبية لها لتقدم للعالم وجهة نظرها السياسية بخاصة في ما يتعلق ببرنامجها النووي وأحداث الشرق الأوسط والأزمة السورية على وجه الخصوص.

الآن وقد هدأت العاصفة وودعت إيران ضيوفها، لابد وأنها أخذت «ورقة وقلما» لحساب أرباحها وخسائرها السياسية التي نجمت عن هذا الاجتماع الدولي.. ماذا كانت الطموحات وما هي النتائج التي تحققت على أرض الواقع؟

سنحاول من خلال الأسطر التالية أن نقوم بسرد ما حققته إيران من هذا المؤتمر وماذا خسرت ثم نرى المحصلة النهائية هل هي إيجابية أو سلبية بالنسبة لها.

مما لا شك فيه أن إيران نجحت في اقناع الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون بحضور القمة رغم المعارضة الغربية الشديدة لذلك، كما نجحت إيران في استقطاب ممثلين لقرابة (١٠٠) دولة من بين (١٢٠) عضوا في حركة عدم الانحياز الأمر الذي يعتبره الكثيرون نجاحا لطهران في كسر العزلة الدولية المفروضة عليها رغم أنه لم يحضر سوى ثلاثين رئيس دولة وحكومة فقط.

تزامنت القمة أيضا مع عودة السفير البحريني لدى طهران إلى مقر عمله في طهران وقد علل وزير خارجية البحرين أخيرا ذلك على حسابه على تويتر بأن «قرار إعادة السفيرالى طهران هو للقيام بعمله في الدفاع عن مصالح البحرين وليس مجاملة لإيران وعودة السفير الإيراني الى البحرين شأن لا يهمنا». وبغض النظر عن سبب العودة إلا أن تزامنه مع القمة رآه البعض بأنه نجاح إيراني.

نجحت إيران أيضا في «اقناع» الرئيس المصري المنتخب حديثا الدكتور محمد مرسي بالحضور إلى طهران بعد قطيعة بين البلدين تجاوزت الثلاثة عقود بقليل. كما أشاد ممثلو دول عدة بحسن التنظيم وكرم الضيافة والحفاوة التي حظوا بها في طهران خلال فترة تواجدهم هناك. وبطبيعة الحال فقد نجحت إيران قبيل وأثناء القمة في كسب أضواء الإعلام الأجنبي و تصدر اسم إيران وصور المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية في إيران آية الله علي خامنئي والرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد عناوين الإعلام العالمي خلال فترة انعقاد القمة.

هذه أهم المكاسب التي حققتها إيران ولكن ماذا عن الخسائر. كانت كلمة بان كي مون هي المفاجأة الأولى للمسؤولين الإيرانيين بخاصة في ما يتعلق بحديثه عن الأزمة السورية وجرائم النظام الحاكم هناك. ليس ذلك فحسب فقد فتح الأمين العام للأمم المتحدة ملف الحريات في إيران مع كبار المسؤولين في طهران حيث صعد من لهجته تجاه إيران وطالبها بالإفراج عن جميع المعتقلين السياسيين وناشطي حقوق الإنسان كاشفا «طلبت من السلطات خلال زيارتي الإفراج عن مسؤولي المعارضة والمدافعين عن حقوق الإنسان والصحافيين والناشطين الاجتماعيين بهدف خلق أجواء من حرية التعبير ونقاش منفتح»، في المجتمع الإيراني.

الجدير بالذكر أن بعض رموز المعارضة الإيرانية والمثقفين الإيرانيين في الخارج قد قاموا بإرسال رسائل عدة إلى الأمين العام للأمم المتحدة طالبوه فيها بالضغط على إيران لرفع القيود عن الناشطين وإطلاق سراح المعتقلين منهم.

كما طالبوه بالاجتماع بزعيمي المعارضة مير

حسين موسوي ومهدي كروبي اللذين يعيشان قيد الإقامة الجبرية منذ شهر فبراير من عام ٢٠١١.

على صعيد آخر، وجه بان كي مون انتقادات شديدة لإيران بسبب طموحها النووي وقال انه على إيران بناء الثقة حول برنامجها النووي عبر «الالتزام الكامل بقرارات مجلس الامن ذات الصلة والتعاون الوثيق مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية» محذرا من اندلاع «دوامة عنف» على خلفية المسألة النووية الإيرانية، على حد تعبيره.

تمثلت الخسارة الثانية لإيران خلال القمة في خيبة أملها في كسب الرئيس المصري الجديد. من المؤكد أن طهران كانت واثقة بأن مرسي لن يعرب عن تأييده لموقفها تجاه تطورات المنطقة ولكن المفاجأة لها كانت اعرابه عن دعم الثوار في سوريا ووصف النظام السوري بالقمعي الذي فقد شرعيته، مما أجبر مترجمي تلفزيون وإذاعة إيران الرسميتين إلى تحريف كلمة مرسي مرات عدة بهدف خداع الرأي العام الداخلي وتسويق فكرة مفادها أن مصر ما بعد الثورة تسير على طريق الجمهورية الاسلامية في إيران وتتفق معها في كثير من الرؤى والتوجهات تجاه مستجدات المنطقة.

توالي السقطات

سقطة أخرى لبعض المسؤولين الإيرانيين خلال هذه الفترة كانت حول العلاقة مع مصر فقد تحدث مساعد وزير الخارجية الإيراني حسين أمير عبداللهيان عن مباحثات جرت بين الرئيس المصري ونظيره الإيراني حول تنمية العلاقات بين البلدين ولكن ما هي إلا سويعات حتى تناقلت الصحف المصرية تصريحات على لسان المتحدث باسم مكتب رئاسة الجمهورية المصرية ياسر علي نفى فيها التصريحات الإيرانية موضحا بأن الرئيس المصري لم يناقش هذه الملفات خلال لقائه بالمسؤولين الإيرانيين الأمر الذي زاد من حرج الدبلوماسية الإيرانية وتضرر صورتها في الداخل والخارج على حد سواء.

خسارة أخرى لإيران نجمت عن قمة طهران تتمثل في توتر علاقاتها مجددا مع دول الخليج العربي بسبب اقحام الإعلام الإيراني اسم مملكة البحرين في الترجمة الفارسية لكلمة الرئيس المصري حيث صدر بيان لوزارة الخارجية البحرينية يؤكد أن مسؤولا رفيعا في الوزارة «قام باستدعاء القائم بالأعمال الإيراني السيد مهدي إسلامي بالديوان العام لوزارة الخارجية وتسليمه مذكرة احتجاج رسمية على ما قام به الاعلام الإيراني من خلال التلفزيون الرسمي الإيراني من تزوير وتحريف من المترجم باللغة الفارسية بوضع اسم البحرين بدلا من اسم سوريا» في خطاب مرسي واصفة بأنه يعد «اخلالا وتزويرا وتصرفا اعلاميا مرفوضا يشير الى قيام أجهزة الاعلام الإيرانية بالتدخل في الشؤون الداخلية لمملكة البحرين» وفقا لما نقلته وكالة أنباء البحرين الرسمية.

من جانب آخر، فقد استنكر اجتماع المجلس الوزاري لمجلس التعاون في جدة تحريف كلمة الرئيس المصري في قمة طهران وأعرب المجلس الوزاري عن رفضه واستنكاره الشديدين لاستمرار التدخلات الإيرانية في الشؤون الداخلية لدول مجلس التعاون الخليجي.

في الختام، نجد أن إيران لم تحقق الكثير من الأهداف التي سعت إلى تحقيقها من وراء استضافة قمة دول عدم الانحياز فلم تنجح في تمرير وجهة نظرها حول الأزمة السورية ولم تفز بتوثيق العلاقة مع جمهورية مصر العربية ورئيسها المنتخب حديثا بل زادت من شكوك القاهرة تجاه أهداف طهران.

فبعد المقابلة المزورة التي نشرتها وكالة أنباء فارس المقربة من الحرس الثوري الإيراني قبل قرابة الشهرين على لسان الرئيس المصري ها نحن نشهد فضيحة جديدة للإعلام الإيراني تتمثل في تحريف كلمة الرئيس المصري الأمر الذي قد يؤجل ذوبان جليد القطيعة بين البلدين إلى أجل غير مسمى.

صحيح أن البيان الختامي للقمة قد اشتمل على إدانة للعقوبات الأحادية الجانب ولكن طهران لم تنجح في تخفيف العقوبات المفروضة عليها لأن العقوبات مفروضة

من دول ليست أعضاء في حركة عدم الأنحياز حيث اتهم وزير الخارجية الفرنسي لوران فابيوس الجمعة الماضية إيران بانها «لم تغير موقفها البتة» بشأن ملفها النووي مطالبا بـ«تشديد العقوبات».

تـأتي هـذه التـصريحات غـداة صـدور تقرير شـديد اللهجة عن الوكالة الدولية للطاقة الذرية حول البرنامج النووي الإيراني أشار إلى أن إيران ضاعفت قدرتها على تخصيب اليورانيوم في موقع «فوردو» على الـرغم مـن العقوبات الدولية المفروضة عليها، واتهمت طهران بإعاقة عمليات التحقيق في موقع بارشين العسكري المشتبه بنشاطه النووي المحظور.

بشكل عام ومن خلال كل ما تقدم يتضح أنه ومن حيث موقعها على الخارطة السياسية الدولية ليس هناك ثمة فرق يذكر بين إيران قبل القمة وبعدها، وبعبارة أكثر دقة، إن لم تخسر فإن طهران لم تحقق أي مكاسب تذكر من استضافتها لإجتماع قمة حركة عدم الانحياز.

أما بخصوص رئاسة إيران لحركة عدم الانحياز اعتبارا من هذا الشهر ولمدة ثلاث سنوات قادمة فإن طهران ستستغل ذلك لتلميع نفسها والترويج لتوجهاتها كما أنه من المتوقع أن تحاول جاهدة إلى حل ملفاتها العالقة في الشرق والغرب والأيام القادمة حبلى بكل جديد.

حزب الله يلوح بورقة "المطارات" في وجه الحكومة

الوطن العربي - ٢٠١٢/٩/١٥

يرى خبراء لبنانيون في شؤون الطيران انه يستحيل على السلطات اللبنانية تشغيل مطار القليعات الواقع في شمال البلد من دون موافقة السلطات السورية، وهذا يجعل من قضية مطار القليعات الواقع على الساحل والذي يبعد مئة وخمسة كيلومترات عن بيروت مسألة سياسية بامتياز وجزء لا يتجزّأ من طبيعة العلاقات القائمة بين سوريا ولبنان.

وعزا الخبراء ذلك الى ان المطار لا يبعد اكثر من عشرة كيلومترات عن الحدود السورية، وهذا يجعل السلطات السورية قادرة على تعطيل شبكة الاتصالات فيه، عن طريق التشويش، ساعة تشاء. فضلا عن ذلك، ان هذا المطار في مرمى الاسلحة السورية، بما في ذلك الرشاشات الثقيلة المضادة للطائرات.

واشار هؤلاء الخبراء الى ان اي طائرة تستخدم المطار ستجد نفسها في حاجة الى المجال الجوّي السوري الاّ في حالات نادرة، اي عندما يقتصر اقلاع الطائرة او هبوطها على التحليق فوق المياه الاقليمية اللبنانية.

وكانت مصادر لبنانية مطلعة أكدت في وقت سابق أن حكومة نجيب ميقاتي تفكر جديا في فتح مطار القليعات من جديد أمام حركة الملاحة الجوية على الرغم من معارضة شديدة يبديها حزب الله والدوائر التابعة له في داخل الحكومة اللبنانية.

ويتزايد الحديث في الشهور الماضية عن الضرورة الملحة لإعادة تشغيل المطار الذي يقع في قرية القليعات شمال لبنان حيث تسود غالبية سنية ترفض بشكل متزايد السطوة المطلقة لحزب الله الشيعي على الحكومة.

وتقول مصادر لبنانية عديدة إن إعادة تشغيل المطار أصبحت حاجة ملحة للبنان وخاصة لشماله الذي يبحث سكانه عن منفذ للعالم الخارجي بعيدا عن مطار بيروت وعن نفوذ حزب الله الذي بات يسيطر على هذا المطار الواقع ضمن دائرة نفوذه بالعاصمة اللبنانية.

وفي ايار/ مايو الماضي، طلب الرئيس ميشال سليمان من وزير الأشغال العامة والنقل غازي العريضي الإسراع في اتخاذ الإجراءات والتدابير لإعادة تشغيل مطار الرئيس رينيه معوض (القليعات) أمام حركة الملاحة الجوية.

لكن طلب الرئيس اللبناني وجد أمامه جبهة صد واسعة من حزب الله ومن القوى اللبنانية الموالية لسوريا.

ويقول مراقبون لبنانيون إنّ الحاجة إلى مطار آخر يرفد مطار بيروت باتت أولوية قصوى أمام رفض حزب الله ما أسموه بـ«الانخراط في مشروع الدولة اللبنانية، ومواصلته استخدام هذا المرفق لابتزاز الدولة في كل شؤونها الخاصة».

ويرى هؤلاء المراقبون أن إعادة تأهيل مطار القليعات أصبح حاجة وطنية مسيحية- إسلامية، تتجاوز البعد الاقتصادي على أهميته، إلى البعد السيادي والاستراتيجي، كما لجهة حرية الأفراد في تنقلاتهم وحفظ كراماتهم ونزع ورقة ابتزاز وضغط من قبل الحزب الشيعي.

وطرحت قضية اعادة تشغيل مطار القليعات جديا في الاسابيع القليلة الماضية بعدما تبيّن ان «حزب الله» يسيطر عمليا على مطار رفيق الحريري الواقع قرب بيروت.

وغالبا ما لجأ الحزب الموالي لايران الى اغلاق طريق المطار من اجل ابتزاز الحكومة اللبنانية واظهار قدرته على شلّ الاقتصاد اللبناني.

واستخدم «حزب الله» ورقة مطار بيروت في جهوده الهادفة الى منع المواطنين العرب عموما والخليجيين خصوصا من المجيء الى لبنان في محاولة واضحة للضغط على الدول العربية المؤيدة للثورة السورية.

وادّت الحملة التي قامت بها المعارضة اللبنانية، خصوصا النواب السنّة في طرابلس وعكار، وهي المنطقة التي يقع فيها مطار القليعات، الى تدخل رئيس مجلس النواب اللبناني السيد نبيه برّي(شيعي) من اجل طمأنة اللبنانيين الى ان طريق مطار رفيق الحريري لن يقطع بعد الآن.

وكانت المرّة الاخيرة التي قطعت فيها طريق مطار بيروت الدولي الذي يحمل اسم رفيق الحريري في الخامس عشر من آب/اغسطس الماضي.

ولجأ «حزب الله» الى قطع الطريق والتهديد بخطف مواطنين عرب وخليجيين مستخدما احدى العائلات الشيعية التي خطف احد ابنائها في دمشق في ظروف اقلّ ما يمكن ان توصف به انها غامضة.

ويسعى المسيحيون والسنّة والدروز في لبنان الى ايجاد بديل من مطار بيروت الدولي، بموقعه الحالي، بسبب وجوده في منطقة يحيط بها «حزب الله» من كل جانب. وهذا يجعل كلّ من يدخل المطار او يخرج منه تحت المراقبة المباشرة للحزب الذي يعتبره اللبنانيون لواء في «الحرس الثوري الايراني».

ويقول احد الخبراء من الذين عملوا طويلا على ملف مطار القليعات انّ السبب الحقيقي للتطمينات الصادرة عن برّي، في ما يتعلّق بمطار رفيق الحريري، هو الخوف من ايجاد مطار بديل في منطقة مسيحية او سنّية. وهذا سيجعل مصالح «حزب الله» والتجار الشيعة عموما مهددة نظرا الى ان هؤلاء يعتبرون المستفيد الاوّل من عمليات التهريب الواسعة التي تتم عبر مطار بيروت. وتشمل عمليّات التهريب هذه، بين ما تشمل، تبييض العملة على نطاق واسع وتجارة الماس والمخدرات من افريقيا واليها.

ويذكر ان مطار القليعات الواقع في منطقة ذات اكثرية سنّية تكاد تكون خالية من الشيعة، هو في الاصل قاعدة عسكرية ولا يستخدم لاغراض مدنية الاّ نادرا. وقد بات في استطاعة الطائرات المدنية الهبوط فيه، خصوصا بعد تأهيله. وكان الهدف المعلن من عملية التأهيل تطوير الاقتصاد في منطقة عكّار الفقيرة، بل المعدمة، وخلق نحو ثلاثين الف فرصة عمل فيها.

وتبلغ مساحة المطار ثلاثة ملايين ومئة وثلاثة وستين الف متر مربّع. وفيه قاعة للمسافرين، يستخدمها حاليا ضباط القاعدة، وحظيرة للطيران وعنابر للصيانة ومبنى للمطافئ ومبنى لمولد

كهرباء ومحطة تخزين للوقود.

واوضح هذا الخبير ان هناك خيارا آخر غير مطار القليعات الذي لن تسمح السلطات الحالية السورية باستخدامه في اي شكل نظرا الى قربه من المنطقة العلوية في سوريا.

واشار الى ان الخيار الآخر هو مطار حامات الواقع في منطقة مسيحية في الشمال اللبناني. وقال ان تشغيل هذا المطار، الذي يحتاج الى عملية تأهيل كبيرة تفوق بكثير تلك التي يحتاجها مطار القليعات، لا يحتاج الى موافقة سورية في ضوء بعده عن الحدود بين البلدين.

واعتبر ان تشغيل مطار القليعات سيطرح قريبا ولكن من زاوية مختلفة تتجاوز الاستغناء عن مطار بيروت الذي يسيطر عليه «حزب الله». وقال ان هذه الزاوية تتمثل في نقل مساعدات الى الشعب السوري بواسطة جمعيات الاغاثة او الامم المتحدة. لكنّ ذلك مرتبط الى حدّ كبير بانهيار النظام الحالي في دمشق، اي بفقدانه السيطرة على معظم الاراضي السورية.

وكشف ان هناك اهتماما اميركيا كبيرا بمطار القليعات وذلك بسبب قربه من الاراضي السورية وحتى العراقية، اذ ان المسافة بين المطار والحدود السورية- العراقية يمكن ان تقطع في اربع ساعات ونصف ساعة برّا.

ويعود الاهتمام الاميركي بالمطار أيضا الى انّه يقع في منطقة قريبة من البحر وهذا يعني في طبيعة الحال ان في الامكان تأمين الدخول اليه والخروج منه بسهولة عن طريق رأس جسر في استطاعة البحرية الاميركية اقامته قرب المطار.

حزب الله والصدريون:
طائفيون وأعداء مهما بدّلوا جلودهم

د. مهدي الحموي - موقع أرفلون ٢٠١٢/٨/١٨ (باختصار)

من هم أعداء الثورة والشعب السوري ؟ (لن أتكلم عن الصينيين والروس الذين يحاولون بناء محور منافس (من رفات الشيوعية) ولا على إسرائيل والغرب نفسه فهؤلاء أعداء مكشوفون، وسأشرح دور من كنا نظن أنهم ذخرنا من أبناء ديننا أو جلدتنا:

١ - الطائفيون من الفرس :

قامت ثورة الخميني وكان من أبرز أدبياتها جملة (ثورة المستضعفين) وأنها ثورة تنتهج الإسلامية كقاعدة للإخاء كما للنضال ضد الظلم بدل الشيوعية التي إتخذها ثوار دول أمريكا اللاتينية والثوريون العرب قاعدةً تقوم عليها ثورات التحرر، وصدّقنا هذا مع الأسف، وكنت مع إخواني في سجن المزه العسكري عام ١٩٨٠ نغني وبصوت جماعي نشيد الثورة الإيرانية، والذي لا أزال أحفظ منه حتى الآن (إيران إيران إيران، خونو مركو أسيون، خونو ماركو هتّي، لا إله إلا الله) وكنا نراها بداية عالم إسلامي جديد حر عزيز موحد ضد أعدائه، لا فرق بين مسلم وآخر، فهل كانت إيران قدوة لذلك؟

والجواب على هذا: بعد قيام الثورة الإيرانية ذهب وفد كبير من علماء المسلمين في العالم وقدموا التهاني للخميني بنجاح الثورة، وقد طالبه الشيخ سعيد حوى وقتها بحق النصرة في الدين، فرد الخميني: أراكم بعد يومين، وفي اليوم التالي طلب منهم رئيس شرطة طهران مغادرة البلاد وإلا فحياتهم في خطر، وغادروا فعلاً .

واليوم يقف حكام إيران مع القاتل لشعبه، وهم

يلبسون مثله لباس الممانعة ضد إسرائيل (بعد لباس الإسلامية العالمية) وكأن الدبابات الزاحفة إلى فلسطين يجب أن تمر على أجسادنا حتى تتحرر، وكأننا لا نقاتل إسرائيل إلا حين نكون عبيدا مصفّدين عند عصابة حاكمة تدعي الممانعة، مع أن عنترة العبسي لم يكرّ في الحرب إلا حين تحرر، فإذا كان مقياس علاقتهم هو مقدار العداء لإسرائيل فلماذا وقفوا ضد صدام ؟ وهو أشرف المانعين ضد إسرائيل وأمريكا (بدليل أنهم أسقطوه بالقوة ثم أعدموه).

ولماذا وقف حكام إيران مع الأمريكان لاحتلال العراق ؟ ولماذا يعادون مقاتلي طالبان! وهم جيرانهم المسلمون الذين يقاتلون أمريكا ؟ بينما يدعمون حزب الوحدة الشيعي هناك فقط . لقد وضح للجميع ولكل ذي بصيرة أن حرمة الأرض الشيعيّة والدم المسلم الشيعي عندهم هي المصونة فقط، وأن المستضعفين هم الشيعة فقط، ووضح بأن جرح إصبع شيعي في البحرين تساوي أكثر من ألف قتيل في سورية، فلماذا إخفاء الكف الفارسية بقفازات دينية زائفة ؟

وهؤلاء لا نلومهم أبداً لأننا نعرف أنانيتهم وإخلاصهم الأعمى لبلدهم، لكننا نلوم من بايعوهم من العرب، وكانوا أشد تطبيقا للتقية فكانوا أكثر تبديلا لجلودهم، وهم :

الطائفيون العرب: وأخص منهم حزب الله وجماعة مقتدى الصدر، وللأسف فهم عرب وتنظيماتهم مغلقة إلا على الشيعة، وهم يدعمون نظام بشار بما استطاعوا ضد شعب مستضعف مسروق ومسحوق، وهو علماني لادين له وهم الإسلاميون كما يدعون فكيف؟ ولماذا ؟ وبكل أسف إنهم عرب، وقد أعطوا البيعة للفقيه المرشد خارج نطاق العرب وهم ينتظرون منه الأوامر، وهنا نقول: لماذا لا تكونوا شيعةً عرباً أحرارا حقيقيين تنتمون للأمة العربية أولاً ؟ ثم تدْعون الأمة بعد توحدها للدخول في فيدرالية إسلامية ؟ لكن الجواب: هل يؤمن هؤلاء بصحة إسلام أي أحد غير شيعي ؟ فمتى وكيف نلتقي وكيف نقاوم الأعداء؟ !

فلماذا إذا - بعد ذلك - تقف الأحزاب الشيعية العربية ضد الثورة السورية ؟ لقد لبسوا ثوب الحرص على دماء الشعب السوري الشقيق وهم يساعدون في إراقته، ويتظاهرون بالمصلحين والوسطاء لإنقاذه، وأنتم تعلمون يا عملاء إيران أنه على الرغم من مجازر الثمانينيات في حماة؛ وكذلك ثورتنا اليوم فإنه لم يمد أحد منا يده لليهود أو يلجأ إليهم، فكيف تتهمون الثوار بالعملاء ؟ وهل تبرُّع أمريكا بـ ٥ مليون دولار للاجئين (هذا إذا وصل منها شيء)، هل هذه عمالة ورشوة لثورة هائلة عملاقة لها جذور نضال منذ ٥٠ عاماً ! وما عارنا إن أيدتنا دول معاقة ديموقراطياً في حقنا، ألا يقف هندوس الهند وبوذ الصين ولصوص ومافيا الروس مع النظام؟ .

لا تلبسوا جلد المدافعين عن الضعفاء ولا جلد الممانعة ولا تضعوا قفازات فلسطين ولا تظهروا الشفقة الكاذبة علينا، فنحن عرفنا حقيقتكم، وكل الناس يعرفون أنكم طائفيون؛ لأنكم قررتم سلفا تبرير جرائم النظام، ونحن نريد الحقيقة، ونؤمن أن سورية لكل السوريين، وأن الأمة الإسلامية يجب أن تكون واحدة قوية بوجه أعدائها اليهود ومن خلفهم، ولسنا ولن نكون طائفيين بل نرد الحجر من حيث جاء، وقد ربطت الثورة نفسها بثقافة الأمة عبر دينها وقادتها العظام لذا فلن تتوقف إلا فوق جماجم الأعداء.



أنقذوا ماتبقى
من أطفال سوريا
في ظل الحرب الشيعية الطائفية على سوريا
إسرائيل تعتدى على المسجد الأقصى